القيم الدعوية في السنة النبوية

قال رسول الله ﷺ

" يَسِّرُوا ولا تُعَسِّرُوا، وبَشِّرُوا

ولا تُنَفِّرُوا، وتَطَاوَعَا ولا تَخْتَلِفا "

هند بنت مصطفى شريفي

شبكة الألوكة
www.alukah.net

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

القيم الدعوية في السنة النبوية

دراسة لقوله صلى الله عليه وسلم: ((يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا))

الباحثة الدكتورة

هند بنت مصطفى محمد الطيب شريفي

الأستاذ المساعد بقسم الدراسات الإسلامية

كلية الآداب والعلوم الإنسانية

جامعة طيبة بالمدينة المنورة

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

بسم الله الرحمن الرحيم

قال الله تعالى:

{لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ لِمَنْ كَانَ يَرْجُو اللَّهَ وَالْيَوْمَ الْآخِرَ وَذَكَرَ اللَّهَ كَثِيرًا } [الأحزاب: ٢١]

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين.. وبعد،

فإن للدعوة الإسلامية بناء معياري يعكس مبادئها وأخلاقها التي يمتثلها الدعاة إلى الله، ولها مناهجها وخصائصها المميزة التي قامت بنشرها في آفاق العالم، كما أن لها أصولها ومصادرها التي تجعل الدعاة يميلون اثناء اتصالهم بالآخرين وقيامهم بالعملية الدعوية إلى التمسك بها والاستقامة عليها، حتى يتاح لهم التأثير في الآخرين تأثيرا إيجابيا، ومن ثم ينتج عن هذه العمليات الدعوية نماذج مضيئة تتحلى بالأخلاق والمعايير الإسلامية، كما تتحقق أهداف سامية تسعى لها الدعوة الإسلامية.

ومن هذا البناء المعياري تتكون قواعد الدعوة التي تمثل مقاييس نحكم من خلالها على سلوك الداعية بأنه مقبول وصحيح وموافق لمقاصد الدعوة الإسلامية أو ليس كذلك، وتصوغ في الوقت ذاته شخصية الداعية المسلم بتميز وثبات ووضوح، وهذا كله يتضمن معنى (**القيم الدعوية**).

والدعوة الإسلامية لها قيمها التي تضبط وتحدد سلوك المنتمين لها، وبعبارة أخرى: إن لها بناءها المعياري اللائق بها كرسالة سماوية خاتمة، تستمد أصولها من أصول الدين الإسلامي ومصادره، إلا أنها تعتريها بعض الإشكاليات، التي من أبرزها تردد الداعية بين قطبي الإفراط والتفريط، فهو ينجذب نحو مداراة المدعوين ومراعاة أحوالهم أومسايرة أهوائهم، ومتابعة رغباته وميوله الذاتية، في الوقت الذي تشده أصول شرعية وقواعد لا يمكنه تجاهلها أو تهميشها، مما أوجد فئات عديدة من المناهج الدعوية المتنوعة، وقد عبر أحد الدعاة المعاصرين عن خطر هذه القضية في معرض تحذيره من الفرقة والتنازع بين الدعاة: " مع استمرار المرض، ومع تزايد الخطر، لا بد أن نحمل لأمتنا النذير، إنه آخر المحاذير، وهو أشدها فتكا بالجماعات، ولذا لجأ إليه كثير من الأعداء ورفعوا شعار (فرق تسد) ونجحوا من خلال ذلك بما لم ينجحوا به في حروبهم العسكرية... ترى هل ينتبه الناس عامة، والدعاة خاصة لذلك؟ وهل لبعض الدعاة أن يكفوا عن التفرقة تحت دعوى المبادئ أو التصحيح؟ وهل لهم ان يعلموا أن الفرقة والتنازع إثمهما عند الله أشد من السكوت عن بعض المخالفات التي يظنونها أصولا ومبادئ، لأن الله جعل الكفر قرين الفرقة والاختلاف"[(١)]، وقال الشيخ بن عثيمين رحمه الله: "يوجد في بعض الشباب

---

(١) جريشة، د. علي محمد: صحوة أمة، ص ٤٢، دار طابة، القاهرة، ط: بدون.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

اليوم الذين منّ الله عليهم بالهداية، وحرصوا كل الحرص على تطبيق الشريعة، ويوجد فيهم شيء من التنافر على خلاف يسعهم الاختلاف فيه، لأنه محل اجتهاد، والنصوص تحتمل هذا وهذا، ولكن بعض الشباب يريد أن يكون جميع الناس تبعا لرأيه، فإن لم يتبعوا رأيه فإنه يعتبرهم على خطأ وضلال، وهذا خلاف ما كان عليه أصحاب النبي صلى الله عليه وسلم.ومن بعدهم من الأئمة"[1].

إن أبعاد هذه المشكلة واسعة عريضة ولذا فإنه من المهم جدا تلمس الحل الصحيح الذي يستند على أسس سليمة واضحة، يستلهمها الدعية من سنة إمام الدعاة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم، من خلال دراسة سيرته واستنباط القيم الدعوية التي عاشها وتمثلها وأمر الدعاة بالتزامها، ولا بد من إعادة هذه القيم إلى مكانها الصحيح.

لكل هذا ولما يظهر من اهتزاز بعض القيم الدعوية في ميدان الدعوة تأتي أهمية البحث في القيم الدعوية في السنة النبوية، لأنه بحث في سيرة الأسوة المعصومة المبلغة عن الله تعالى، وذلك من خلال دراسة دعوية لنموذج من سنة المصطفى صلى الله عليه وسلم، وهي وصيته الخالدة للصحابيين الكريمين معاذ بن أبي جبل وأبي موسى الأشعري رضي الله عنهما:

((**يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا**))[2].

ويزداد الأمر أهمية في خضم المتغيرات المعاصرة الطارئة على المجتمعات الإسلامية، وظهور آثارها الأخلاقية والعقدية والفكرية على الشخصية الإسلامية، وما تبع ذلك من ظهور أجيال ترفض الدعوة إلى الله ولا تتقبل شعيرة الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وتدعو إلى التحلل من الضوابط والقيم الإسلامية، مما يؤكد ضرورة الرجوع إلى المصدر النقي الطاهر للأخذ عنه والاهتداء بنوره، لما للقيم الدعوية من تأثير كبير في تشكيل شخصية الداعية المسلم وفي ترشيد سلوكه وإكسابه ملامح الشخصية الإسلامية المتميزة.

---

(١) العثيمين، الشيخ محمد صالح: الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، ص ٣٦، دار الوطن للنشر الرياض، ط: بدون ١٤٢٤هـ.

(٢) متفق عليه، صحيح البخاري، كتاب الجهاد والسير، باب ما يكره من التنازع والاختلاف في الحرب، وعقوبة من عصى إمامه وقال الله عز وجل: (ولا تنازعوا فتفشلوا وتذهب ريحكم) يعني الحرب، ح ٣٠٣٨، وصحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب الأمر بالتيسير وترك التنفير، ح ١٧٣٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

مشكلة البحث وتساؤلاته:

ويجيب هذا البحث عن سؤال مهم هو: ما أهم القيم الدعوية المتضمنة في السنة النبوية، من خلال نموذج مختار من الحديث النبوي، وما أبرز المؤشرات السلوكية والمنهجية لهذه القيم الدعوية المستنبطة من الحديث الشريف، **ويمكن بلورة مشكلة البحث من خلال الأسئلة الآتية:**

١)) ما أهمية وجود قيم دعوية تعبر عن شخصية الداعية المسلم؟

٢)) ما الصلة القائمة بين الدعوة إلى الله والقيم الإسلامية؟ وما دور السنة النبوية في تكوينها؟

٣)) ما أهم القيم الدعوية المستنبطة من الوصية النبوية ((يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا)) ؟

٤)) ما أهمية القيم المذكورة في الحديث للدعوة؟ وما مؤشراتها، وما أهم الأمور المخالفة لها؟

أهداف البحث:

في إطار ما سبق تأتي أهداف البحث كما يأتي:

١)) إبراز دور القيم الدعوية في بناء أسس الدعوة وأهدافها، وفي تحديد الأولويات الدعوية، والتمييز بين الإيجابيات والسلبيات، وعدم وضوح القيم الدعوية يزيد من فرصة وقوع الخطأ في اختيار المنهج والأسلوب والوسيلة.

٢)) إبراز مؤشرات القيم الدعوية المستنبطة من الحديث الشريف.

٣)) توضيح دور القيم الدعوية في ترشيد سلوك الداعية، وتأكيد أثرها في صياغة شخصيته وملامحه المتميزة كداعية إلى دين الله.

٤)) الإسهام في طرح أوسع للقيم الدعوية المستنبطة من خلال السنة النبوية، فدراسة القيم الدعوية في السنة النبوية قليلة، رغم ارتباط علم الدعوة بالعلوم الأخرى التي تناولت القيم الإسلامية بالدراسة والتحليل، إلا أن الباحثة تشير إلى ضرورة إبرازها كقيم دعوية لأنها تؤسس لمهمة النبي صلى الله عليه وسلم التي كلفه بها تعالى في قوله: {يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا} [الأحزاب: ٤٥، ٤٦]

أهمية الموضوع:

١)) استجلاء مكانة القيم الدعوية، ودورها الأساس في تكوين الداعية ونجاح العملية الدعوية، حيث إن القيم الدينية الدعوية كانت وما زلت نقطة الارتكاز الأساس في البناء الدعوي.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢)) العمل على استخلاص قيم الدعوة من خلال السنة النبوية والسيرة المطهرة، وإبراز ملامح القيم المميزة لإمام الدعاة وسيد ولد آدم صلى الله عليه وسلم.

٣)) عرض بعض المفاهيم الخاطئة للقيم الدعوية، والمنتشرة بين الدعاة باسم القيم الإسلامية، ومحاولة تصحيحها وتوجيهها بما يتفق مع رسالة الإسلام ومصلحة الدعوة الإسلامية.

٤)) ارتباط موضوع البحث بشخصية المسلم الداعية المبلغ عن الله تعالى وعن رسوله صلى الله عليه وسلم، فالقيم الإسلامية بأنواعها تعد غاية ووسيلة في آن واحد، غاية حين تتحقق في الوجود الإنساني، ووسيلة عندما يستخدمها الداعية لتحقيق أهداف الدعوة السامية، والداعية لا تنفك حاجته عن معرفة هذه القيم والتزامها لتأثيره فيمن حوله، كما إنها تدل على منهج الدعوة الصحيح الذي يجب عليه أن يسير عليه بالتزامه بهذه القيم، ولا شك أن تخليه عن هذه القيم سيؤثر بشكل سلبي على الدعوة.

ومن هنا تأتي أهمية البحث في مجال القيم الدعوية، ومحاولة توضيحها وتحديدها، فهي تسهم إسهاما فعالا في تحقيق أهداف الدعوة، وتساعد على تنظيم العمل الدعوي الفردي والمؤسسي.

منهج البحث:

استخدمت الباحثة المنهج الوصفي التحليلي الذي يقوم على الظواهر الطبيعية أو الاجتماعية وصفا لها، للوصول بذلك إلى إثبات الحقائق العلمية، وهو منهج مكمل لمنهج الاسترداد التاريخي الذي يصف الظواهر في تطورها الماضي، حتى يصل بها إلى الوقت الحاضر، والباحثة حينما تستخدم المنهج الوصفي لا تقوم بحصر الظواهر ووصفها جميعها، وإنما تقوم بانتقاء الظواهر التي تخدم غرضها من الدراسة[(١)]، ثم تقوم بتحليل هذه الظواهر لاستنباط الحقائق العلمية منها، للوقوف على مفهوم القيم الدعوية وخصائصها، معتمدة على تحليل بعض نصوص القرآن والسنة وما يتوفر من دراسات في هذا الموضوع.

الدراسات السابقة:

بعد البحث في أوعية ومظان الدراسات العلمية لم توفق الباحثة في العثور على كتابات علمية في موضوع القيم الدعوية، بل إن جل الموجود كان عبارة عن مقالات أو محاضرات، أما الأبحاث العلمية في مجال القيم ضمن التخصصات الأخرى فهناك الكثير من الدراسات العلمية ضمن تخصص الثقافة والتربية وعلم النفس التربوي وعلم الاجتماع، ومن أقرب هذه الدراسات لموضوع البحث مما استفادت منه الباحثة ما يأتي:

---

(١) الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن: البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، ص ١٨٠، الرياض، ط:٢، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١)) (الثبات والتغير في القيم في الإسلام والفكر الغربي المعاصر، دراسة تأصيلية مقارنة) للباحث: مانع محمد علي المانع،[(١)] وقد تناول فيها الباحث مفهوم القيم وأنواعها في الإسلام وفي الفكر الغربي المعاصر من حيث الأسس والخصائص، ثم قارن بين جوانب الثبات في القيم من حيث المصادر والضوابط والأهداف، كما قارن بين جوانب التغير بين الثقافتين من حيث اسباب التغير ومجالاته.

٢)) (الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم في ضوء التحديات المعاصر) للباحث: الطيب أحمد عبد الصمد الشنقيطي،[(٢)] وقد تحدث الباحث عن مرحلة الشباب وأهميتها وخصائصها وأهم التحديات التي تواجهها، ثم عرف بالقيم وتصنيفاتها، وتناول أهم الأساليب النبوية لتنمية القيم الإيمانية لدى الشباب المسلم وكيفية الاستفادة منها في واقعنا المعاصر.

٣)) (القيم الحضارية، مفهومها وأهميتها ووسائل تطبيقها في السنة النبوية) للباحث: د.محمد بشير محمد البشير[(٣)]، وقد تناول البحث الحديث عن أهمية القيم الحضارية في السنة النبوية وأحكامها الشرعية، والقيم الحضارية في العقيدة والعبادة والأخلاق، ثم تحدث عن صراع الحضارات وحوارها في ظل القيم الحضارية الاسلامية، وسبل غرس القيم الحضارية في المجتمع المسلم.

تقسيمات البحث:

ستسير الباحثة في بحثها ضمن المبحثين الآتيين:

المبحث الأول: مفهوم القيم الدعوية وأهميتها، وخصائصها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القيم الإسلامية وخصائصها وأهميتها للمجتمعات.

المطلب الثاني: مفهوم القيم الدعوية ومنطلقاتها وأهميتها للداعية.

المطلب الثالث: ضرورة السنة النبوية في بناء القيم الدعوية.

المبحث الثاني: القيم الدعوية المتضمنة في الوصية النبوية: ((يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، تطاوعا ولا تختلفا))، وفيه أربعة مطالب:

---

(١) وهي رسالة دكتوراه مقدمة لقسم الثقافة الإسلامية بجامعة الإمام محمد بن سعود الإسلامية بالرياض، عام ١٤٢٣هـ، والرسالة كتاب مطبوع بعنوان: (القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة)، نشر دار الفضيلة بالرياض، ط: ١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م.

(٢) وهي رسالة ماجستير –غير منشورة– مقدمة لقسم التربية الإسلامية والمقارنة بكلية التربية بجامعة أم القرى بمكة المكرمة للعام الجامعي ١٤٢٨/١٤٢٩هـ.

(٣) وهي بحث منشور في مجلة دراسات دعوية بجامعة أفريقيا العالمية بالخرطوم العدد الخامس عشر ١٤٢٩هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الأول: وقفات مع الحديث الشريف.

المطلب الثاني: القيمة الدعوية في قوله: ((يسّرا ولا تعسّرا)).

المطلب الثالث: القيمة الدعوية في قوله: ((بشّرا ولا تنفّرا)).

المطلب الرابع: القيمة الدعوية في قوله: ((تطاوعا ولا تختلفا)).

خاتمة البحث ونتائجه وتوصياته

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الأول: مفهوم القيم الدعوية وأهميتها وخصائصها، وفيه ثلاثة مطالب:

المطلب الأول: مفهوم القيم الإسلامية وخصائصها وأهميتها:

المعنى اللغوي للقيم: القيمة: واحدة القيم، وجاءت في اللغة على عدة معان:

جاءت بمعنى ثمن الشيء بالتقويم، وقومت السلعة تقويما: أي ثمنتها وقدرتها، واستقام المرء: اعتدل، وقومته: عدلته فهو قويم، ويقال: ما لفلان قيمة: ماله ثبات ودوام على الأمر.

والقَوام بفتح القاف: العدل، كقوله تعالى: {وَكَانَ بَيْنَ ذَلِكَ قَوَامًا} [الفرقان: ٦٧]، والقُوام بضم القاف: ما يعاش به ويقوم بحاجاته الضرورية، والقِوام بكسر القاف: نظام الأمر وعماده وملاكه الذي يقوم به[(١)].

وجاءت بمعنى التعديل والاستقامة والاعتدال[(٢)]، قال تعالى: {ذَلِكَ الدِّينُ الْقَيِّمُ} [التوبة: ٣٦]، وقوله تعالى: {قُلْ إِنَّنِي هَدَانِي رَبِّي إِلَى صِرَاطٍ مُسْتَقِيمٍ دِينًا قِيَمًا مِلَّةَ إِبْرَاهِيمَ حَنِيفًا} [الأنعام: ١٦١].

المعنى الاصطلاحي للقيم:

ذكر الباحثون تعريفات متعددة للقيم منطلقة من رؤى مختلفة الزوايا لمفهوم القيمة، وتبعا لمجالاتهم المعرفية وتخصصاتهم العلمية، ومن هذه التعريفات: ما ذكره د. علي خليل ابو العينين، فقد عرف القيم بأنها: " مفهوم يدل على مجموعة من المعايير والأحكام، تتكون لدى الفرد من خلال تفاعله مع المواقف والخبرات الفردية والاجتماعية، بحيث تمكنه من اختيار أهداف وتوجهات لحياته، يراها جديرة بتوظيف إمكانياته، وتتجسد خلال الاهتمامات أو الاتجاهات أو السلوك العملي أو اللفظي، بطريقة مباشرة وغير مباشرة"[(٣)]، وهذا التعريف يمثل مدلول القيم بشكل عام، أما تحديده بالقيم الإسلامية فإنه يتحدد بربطه برؤية الإسلام وتصوراته المعرفية والسلوكية والوجدانية، وبمصادر اشتقاقه، وبمنهجه في غرس القيم، وبطبيعة معاييره التي يقررها لإصدار الحكم على الأشياء من حيث قبولها أو ردها[(٤)]، حينئذ يصدق التعريف ذاته على القيم الإسلامية.

---

(١) الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، فصل القاف من باب الميم ٣٦/٩، دار مكتبة الحياة بيروت، ط:١، ١٣٠٦هـ أنيس، د. إبراهيم وآخرون: المعجم الوسيط، ٧٦٧/٢..

(٢) ابن منظور، أبو الفضل جمال الدين محمد بن مكرم: لسان العرب ٥٠٣/٥،

(٣) أبو العينين، د.علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية، ص ٣٤، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

(٤) الجلاد: د. ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٥٥، دار المسيرة عمان، ط:٣، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

ومن تعريفات القيم الإسلامية: "حكم يصدره الإنسان على شيء ما مهتديا بمجموعة من المبادئ والمعايير التي ارتضاها الشرع، محددا المرغوب فيه، والمرغوب عنه من السلوك" [1]، كما عُرفت بأنها: " مجموعة المبادئ والقواعد والمثل التي نزل بها الوحي، ويؤمن بها الإنسان ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أفعال وأقوال وتصرفات تربطه بالله عز وجل في الكون" [2].

وللقيم الإسلامية طبيعة متميزة متفردة، تكسبها خصائص معينة هي كما يأتي:

١)) القيم الإسلامية حددها الشارع تعالى، ويكتسبها الأفراد من مجتمعهم، فهي مستمدة من مصادر الشريعة الإسلامية الأساس: القرآن والسنة، وتستمد شرعيتها من مدى استمدادها منهما، كما أنها توزن وعناصرها وتطبيقاتها بموافقتها لهما، لأن ميزان البشّر يتصف بالقصور والميل والهوى، وإن وضوح وقدسية وشرعية مصادر القيم يؤثر على سمو القيمة وثباتها، لذلك تتميز القيم الإسلامية بالثبات مقارنة بالقيم الغربية لاختلاف المصادر التي تستقي منها.

٢)) تنبع القيم الإسلامية من العقيدة الإسلامية أساسا، لا من المصالح المؤقتة أو المنافع الذاتية، والمحور الذي تقوم عليه كافة القيم هو: الإنسان ومصالحه الدنيوية والأخروية، لذلك جاءت مقاصد الشريعة للمحافظة على الكليات خمس: الدين، والنفس، والعقل، والنسل، والمال.

٣)) القيم الإسلامية تقوم على مبدأ التكليف، فالإنسان في الإسلام كائن مكلف مسؤول عن اختياراته وبناء حياته، ويتعلق هذا التكليف بالأحكام الشرعية التي تعتبر ضابطا لحياة الإنسان، وهي ما يطلق عليه عند الفقهاء (الأحكام التكليفية) التي تنقسم إلى: الإيجاب، والندب، والتحريم، والكراهة، والإباحة.

٤)) تشمل مسؤولية تنمية القيم الأنظمة الإسلامية كلها: وهي تبدأ من نظام العقيدة وأحكام العبادات وأحكام المعاملات، والنظام الاجتماعي، ونظام السلم والحرب، نظام القضاء والتشريع... إلى غير ذلك من أنظمة الإسلام، فهناك مساحة عريضة واسعة للقيم التي تجمع كافة مناشط الانسان، وقد أكسبت تلك النظم المسلمين تلك القيم بحيث أصبحت إطارا عاما لحياتهم، ثم انتقلت عبرهم إلى الأجيال التالية.

---

(١) حسن، د. السيد الشحات أحمد: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، ص ٥٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:بدون، ١٤٠٨هـ

(٢) عقل، د.محمود عطا حسين: القيم السلوكية، ص ٦٨،مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط:٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥)) إن القيم تجمع بين الثبات والمرونة: فهناك قيم ثابتة عليا لا تقبل الاجتهاد أو التغيير والتبديل، وتقوم على نصوص قطعية الدلالة، كالقيم العقدية، وقيم العبادات، وقيم الأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، وهناك قيم نسبية كالقيم المتعلقة بالتعامل مع الآخرين والتي ترتبط بالأعراف المجتمعية، يكون فيها مجال الاختيار، وتتحلى بالمرونة التي تساعد الناس على مواجهة المواقف والحوادث المتجددة في الحياة.

٦)) إنها ترتبط بالجزاءات الدنيوية والأخروية، فهدفها الأساس من وراء الالتزام هو إرضاء الله تعالى ثم يأتي أثر الوعد والوعيد والترغيب والترهيب بعد ذلك[(١)].

أهمية القيم الإسلامية للمجتمعات:

١)) إن للقيم دورا أساسيا في حياة المجتمعات، فهي تحفظ لها بقاءها واستمرارها، وقد وضح القرآن الكريم هذه الحقيقة في العديد من الآيات التي جاءت تعقيبا على نهاية أقوام ومجتمعات رفضت معايير القيم الفاضلة، كقوله تعالى: {وَضَرَبَ اللَّهُ مَثَلًا قَرْيَةً كَانَتْ آمِنَةً مُطْمَئِنَّةً يَأْتِيهَا رِزْقُهَا رَغَدًا مِنْ كُلِّ مَكَانٍ فَكَفَرَتْ بِأَنْعُمِ اللَّهِ فَأَذَاقَهَا اللَّهُ لِبَاسَ الْجُوعِ وَالْخَوْفِ بِمَا كَانُوا يَصْنَعُونَ} [النحل: ١١٢]، وقد أصبح موضوع اختلال القيم من القضايا المهمة لدى المربين والدعاة إلى الله، حيث يعزوا الكثير مظاهر الاضطراب في المجتمعات المعاصرة إلى غياب الالتزام بنسق قيمي متسق، يحدد سلوك الأفراد وتوجهاتهم، ويصدق هذا على كل المجتمعات متقدمة كانت أو نامية، شرقية أو غربية.

٢)) إن القيم تحدد للمجتمعات هويتها وتميزها، فهي تشكل المحور الرئيس من ثقافة المجتمع وهي التي تعكس أنماط السلوك الإنساني الممارس فيه، والمجتمعات تتمايز وتختلف عن بعضها بما تتبناه من معايير قيمية تظهر كعلامات فارقة وشواهد واضحة، ومن أهم دواعي الاهتمام بالقيم ما تتعرض له المجتمعات الإسلامية من غزو وتذويب قيمي وثقافي مقصود أو غير مقصود، أفقدت أفراد المجتمع القدرة على المقاومة أو المسايرة الهادفة، فاضطرب سلوكهم واختلت قيمهم التي كانت توجه سلوكهم وأفكارهم وأقوالهم في الاتجاه الصحيح، الأمر الذي يفرض على هذه المجتمعات عودة للاهتمام بالقيم الإسلامية للوصول إلى نسق قيمي يجسد هوية الأمة الإسلامية ويحفظ لها ذاتها، ويحقق لها وجودا فاعلا كما كانت في السابق[(٢)].

---

(١) أبو العينين، د.علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية، من ص ٤٩-٦٢، ومن ص ٦٨-٧١.

(٢) بتصرف، عقل، د.محمود عطا: القيم السلوكية، ص ٣٨-٣٩، والجلاد، د.ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٤٤-٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣)) تشكل القيم صورة المجتمع، لأنها الضابط والمعيار الأساس للسلوك الفردي الاجتماعي، وهي تنتظم فيما يسمى: (البناء القيمي) الذي يعكس أهداف المجتمع، إذ لا سبيل إلى تحديد أهداف المجتمع لتكون معبرة عن طبيعة الإنسان وطبيعة المجتمع إلا عن طريق القيم، أو على الأقل تحتل القيم المساحة الأعظم في مجال تحديد الأهداف[١].

المطلب الثاني: مفهوم القيم الدعوية، ومنطلقاتها، وأهميتها للداعية:

لا شك أن مفهوم القيم الدعوية يتحدد بصور مباشرة بعد تحديد مفهوم القيم الإسلامية، ولا يمكن الفصل بين مفهومي القيم الدعوية والقيم الإسلامية لأن العلاقة بينهما علاقة جزء من كل، فالدعوة إلى الله من الألفاظ المشتركة التي تطلق على الإسلام وعلى عملية نشره بين الناس، والتعريف الاصطلاحي للدعوة بمعنى الإسلام هو: الدين الذي ارتضاه الله للعالمين، وأنزل تعاليمه وحيا على رسوله صلى الله عليه وسلم وحفظه في القرآن الكريم وبينه في السنة النبوية[٢].

أما تعريف الدعوة بمعنى النشر، فقد عُرفت الدعوة الإسلامية بأنها: "حث الناس على الخير والهدى، والأمر بالمعروف والنهي عن المنكر، ليفوزوا بسعادة العاجل والآجل"[٣].

كما عُرفت بأنها: "تبليغ الإسلام للناس، وتعليمه إياهم، وتطبيقه في واقع الحياة"[٤].

والدعوة إلى الله هي وظيفة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام وهي مهمة نبينا محمد صلى الله عليه وسلم ومن تبعه بإحسان إلى يوم الدين، وهي تتحد مع الإسلام في كل فروعه وقيمه وأنظمته وأحكامه.

ونظرا للارتباط القوي وصعوبة التفريق بين قيم المسلم وأخلاقه حيث عرف الخلق بأنه: "هيئة راسخة تصدر عنها الأفعال بسهولة ويسر، من غير حاجة إلى فكر وروية"[١]، كما يجيء بمعنى الدين والطبع

---

(١) أبو العينين، د. علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربوية ص ٧.

(٢) بتصرف، غلوش، د.أحمد أحمد: الدعوة الإسلامية، ص ١٠-١٢، دار الكتاب المصرين القاهرة، ط:٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٣) محفوظ، الشيخ علي: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة: ص ١٧، دار الاعتصام، ودار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط: بدون..

(٤) البيانوني: محمد: المدخل إلى علم الدعوة، ص ١٧، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والسجية[٢]، أما القيم فهي معايير وأحكام يكتسبها الإنسان من خلال تفاعله مع مواقف الحياة وتساعده على تحديد أهدافه واتجاهاته، فإننا نجد أن الكثير "يستخدم مصطلح القيم والأخلاق في تزاوج، وفي بعض الأحيان كمترادفين يستدل من أحدهما على الآخر، وما ينبغي التفرقة فيه بينهما هو أن الأخلاق مبدأ يحدد توجهات السلوك الإنساني، وأن القيم حكم يقيم به الفرد أفعاله وغايات سلوكه"[٣]، لذلك فإن إنزال مبادئ الأخلاق الإسلامية إلى ميادين الحياة الاجتماعية والنشاط الإنساني وتضمن السلوك الإنساني لها؛ هو التعبير المناسب عن القيم، فمثلا: يقال عن الأخلاقيات الحاكمة للاقتصاد والمعاملات المالية: قيم اقتصادية، والأخلاقيات الضابطة للعلم: قيم علمية، وأخلاقيات تفاعل الفرد مع مجتمعه: قيم اجتماعية[٤]، وهكذا يقال عن الأخلاق الحاكمة لكل ما يتعلق بالدعوة إلى الله: قيم دعوية، ولكن هناك بعض الاختلاف فيما يتعلق بالقيم الدينية الدعوية، حيث إن تطبيقاتها ومؤشراتها تنطلق من أسس الدعوة وأصولها وأركانها وميادينها.

إضافة إلى أن سلوك الداعية بمقتضى قيمه الدعوية يختلف عن سلوكه بمقتضى قيمه في مجالات أنشطة الحياة الاجتماعية الأخرى، فهو يستشعر مسؤوليته الدعوية وإخلاصه لله بقيامه بعبادة يرتبط فيها قلبه به وبثوابه ورضاه عنه، كما يرتبط فيها بالإمام القدوة صلى الله عليه وسلم الذي قال عنه تعالى: {قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي وَسُبْحَانَ اللَّهِ وَمَا أَنَا مِنَ الْمُشْرِكِينَ} [يوسف: ١٠٨]، وهذا لا يعني خلو أنشطة حياته الأخرى من هذا الارتباط، فحياة المسلم كلها عبادة لله تعالى، كما قال تعالى: {قُلْ إِنَّ صَلَاتِي وَنُسُكِي وَمَحْيَايَ وَمَمَاتِي لِلَّهِ رَبِّ الْعَالَمِينَ} [الأنعام: ١٦٢]، إنما يعني عدم تجرد الإنسان من غاياته ومصالحه الشخصية.

وبناء على ما سبق يمكن **تعريف القيم الدعوية بأنها: " مجموعة المبادئ والقواعد والمثل التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يعتقد بها الداعية ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات، ويحقق بها رسالته كداعية مسلم"**.

أهمية القيم الدعوية للداعية:

---

(١) الجرجاني، السيد الشريف علي بن محمد علي: التعريفات، تحقيق: د. عبد الرحمن عميرة، ص ١٣٥، عالم الكتب بيروت، ط:١، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

(٢) ابن الأثير: النهاية في غريب الحديث، ٢/٧٠.

(٣) مكروم، عبد الودود: القيم في الفكر الغربي رؤية وتحليل، ص ٤٧، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٥م.

(٤) بتصرف، مكروم، عبد الودود: القيم في الفكر الغربي، ص ٤٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تتحدد شخصية الداعية من خلال مكوناته الروحية والفكرية والنفسية والاجتماعية، وتعد القيم من المكونات المهمة له وذلك لما يأتي:

١)) إن القيم الدعوية تمثل أحكاما معيارية يتم بمقتضاها تقييم سلوك الدعاة إلى الله، وتحديد ما هو مرغوب أو غير مرغوب منها، " ولكي نُكسب الفرد السلوكيات الحسنة ونُبعده عن السلوكيات السيئة فإنه ينبغي أن نعزز لديه منظومة القيم الإنسانية الفاعلة والصحيحة، المبنية على القناعة والقدرة والإرادة، ونعمل بذلك على تحديد مسارات الفرد واتجاهاته في مواقف الحياة المختلفة، فيسلك عندما يواجهه الموقف أو المشكلة وفقا لما لديه من تصورات وقيم"[(١)]، فالقيم تشكل معيارا تفضيليا يمثل إطارا مرجعيا يحكم تصرفات الداعية ويضبط سلوكه ويوجهه، فالأمانة قيمة إذا تبناها الفرد وجهت سلوكه ضد الغش، والصبر قيمة إذا تبناها الداعية؛ وجهت سلوكه نحو تحمل الشدائد ومقاومة الضعف[(٢)]، ومما يدل على أن للقيم التي يعتنقها الإنسان أثرا في سلوكه قوله صلى الله عليه وسلم: ((**إن الصدق يهدي إلى البر، وإن البر يهدي إلى الجنة، وإن الرجل ليصدق حتى يكون صديقا، وإن الكذب يهدي إلى الفجور، وإن الفجور يهدي إلى النار، وإن الرجل يكذب حتى يكتب عند الله كذابا**))[(٣)]، فالغرائز البشّرية لها تأثيرها والأهواء لها فعلها في النفس، ومما يساعد على السيطرة عليها: سياج القيم الإسلامية التي تضبط هذه الغرائز.

٢)) إن القيم التي يتبناها الداعية تنتظم مع بعضها لتمثل إطارا مرجعيا يحدد سلوكيات الداعية لتحقيق أهدافه، كما تشكل منظومة قيمية أو نسقا قيميا، وإن هذا النسق ليس نسقا جامدا؛ بل نسق يتسم بالحركة والديناميكية، وهو يزود الإنسان بالطاقات الفاعلة، وتمكنه من التفاعل الإيجابي مع مواقف الحياة المختلفة، وتبعده عن السلبية والعجز والضعف.

٤)) إن القيم التي يتبناها الداعية تكشف عن نفسها، إما من خلال التعبير اللفظي الصريح، أو من خلال الأنشطة السلوكية والممارسات الدعوية التي تصدر عنه في المواقف الدعوية المختلفة[(٤)]، أو تبنيه

---

(١) جلاد، د.ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٤٢.

(٢) بتصرف، عقل. د.محمود: القيم السلوكية ص ٤٠.

(٣) صحيح البخاري: الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل البخاري، كتاب الأدب، باب قول الله تعال: (يا أيها الذين آمنوا اتقوا الله وكونوا مع الصادقين) ح ٦٠٩٤، دار السلام للنشر الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

(٤) انظر، عقل، د.محمود عطا: القيم السلوكية، ص٣٧-٣٨، والجلاد، ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٤٢-٤٣.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

لمواقف تجاه ما حوله، والداعية قدوة في أعين من حوله، وهذا يتطلب منه مراقبة نفسه والعناية ببنائه القيمي، ليكون أعظم أثرا في المدعوين وأدعى لقبولهم واستجابتهم.

٥)) المفهوم الدعوي للقيم يتميز بمراعاة المصالح والعمل على تحقيق مقاصد الشريعة من خلالها، حيث إن أهم ميزات الشريعة الإسلامية جلب المصالح وتكثيرها، ودفع المفاسد وتقليلها، قال الإمام ابن القيم رحمه الله في تبيين حرص الإسلام على ذلك: "وإذا تأملت شرائع دينه التي وضعها بين عباده، وجدتها لا تخرج عن تحصيل المصالح الخالصة، أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت قدم أهمها وأجلها، وإن فاتت أدناهما، وتعطيل المفاسد الخالصة أو الراجحة بحسب الإمكان، وإن تزاحمت عطل أعظمها فسادا باحتمال أدناهما"[(١)].

٦)) إن تحلي القيم المرتكزة على القرآن والسنة بالثبات والإطلاق؛ مما يعين الداعية على حسن التصرف، واعتدال السلوك، والقدرة على مواجهة المواقف المختلفة والطارئة التي يقابله بها المدعوون، حيث إن " القيم هي الشرط المسبق الذي يحدد سلوك الذات الإنسانية، وينظم مقومات الفعل الإنساني، وهي العلة الكامنة وراء كل سلوك هادف"[(٢)]، ومن هذا المنطلق فإن القيم الدعوية هي التي تضفي على سلوك الداعية السمت الشرعي الإسلامي.

٧)) لقد اهتدى إلى الإسلام كثير من الناس بسبب سماحة الإسلام وحسن تعامل المسلمين، كما نفر الكثير منهم مما رأوه من المعاملة السيئة والشدة والتنفير من الدين، وإن الوصية النبوية التي وجهها صلى الله عليه وسلم للداعيين، هي ذات الوصية التي وجهها لعامة المسلمين في قوله: ((**بشّروا ولا تنفّروا، ويسّروا ولا تعسّروا**))[(٣)]، وفي قوله ((**فإنما بعثتم ميسرين؛ ولم تبعثوا معسرين**))[(٤)]، وهي قيم يتمثلها الدعاة وعامة الناس، "وإلا فماذا يجدي عمل الدعاة إذا كانوا يبينون لغير المسلمين محاسن الإسلام ويرغبونهم في اعتناقه؛ ثم يقابلهم عامة المسلمين بتنفيرهم عن الإسلام بما يسلكونه معهم من تعامل؟"[(٥)].

٨)) إن الداعية المسلم أثناء مواجهته للمواقف الدعوية ومخالطته للمدعوين؛ لا يسلك سلوكا عشوائيا، وإنما يسلك سلوكا واعيا يسعى به إلى تحقيق هدف معين، ومن هنا ينبغي للداعية أن لا ينظر

---

(١) مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، ٢/ ٢٢، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

(٢) مكروم، د عبد الودود: القيم في الفكر الغربي، ص ٤٥.

(٣) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب في الأمر بالتيسير وترك التعسير، ح ١٧٣٢.

(٤) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ((يسّروا ولا تعسّروا)) ح ٦١٢٨.

(٥) اللحيدان، د. عبد الله ابراهيم: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ص ٧٢، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط:١، ١٤٢٠هـ/٢٠٠٠م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إلى القيم الدعوية على أنها مجرد التزام بمجموعة من المبادئ الأخلاقية في مواجهة مواقف دعوية أو اجتماعية فقط؛ بل إن هناك تلازما بين المؤشرات الدالة على أخلاقية السلوك وبين الحركات الداخلية الداعمة له، فالقيم تشكل دوافع للسلوك وطاقة للنشاط، وهذا يعني قدرة الداعية على بذل الجهد المناسب من أجل إتقان الفعل وتجويده.[1].

في إطار ما سبق يمكن تحديد بعض منطلقات قيم الدعوة إلى الله:

١)) إن الإسلام كمنهج للحياة له منظومة قيمية متكاملة، يضمن الالتزام بها سعادة الناس والمجتمعات في الدنيا والآخرة، وقد كان للدين الإسلامي دور كبير في ترسيخ بعض القيم وتغيير بعضها، فعندما انتشر الإسلام أحدث تغييرات اجتماعية هائلة في حياة الناس وعاداتهم في المجتمع الجاهلي، فانهارت قيم الظلم واستضعاف المرأة، وقيم التفاخر بالحسب والنسب، وحلت محلها قيم احترام المرأة، وصون حقوقها، وقيم العدل وحفظ حقوق الضعفاء، وقيم المساواة والإخاء، وأرسى الإسلام قيم التعاون وقيم الشورى وغيرها[2].

٢)) موضوع الدعوة الإسلامية هو الإسلام بكل ما يحتويه من عقيدة وشريعة وأخلاق وقيم، والدعوة إلى الله هي جزء من الشريعة الإسلامية وهي وظيفة الرسل والأنبياء عليهم الصلاة والسلام، وهذا البحث محاولة لاستنباط نظام قيمي خاص بالدعوة إلى الله وممارساتها، من خلال الوصية النبوية الموجهة لاثنين من الصحابة الكرام (أبي موسى الشعري، ومعاذ بن جبل رضي الله عنهما) لما أرسلهما أمراء ودعاة إلى الله، فكان صلى الله عليه وسلم يزودهما بأهم القيم التي تستلزمها مهمتهما العظيمة.

٣)) إن مجال القيم الدعوية واسع فسيح، فهو يمتد ليشمل أركان لدعوة، وكل ما يواجه الداعية كإنسان مسلم يتعرض لمؤثرات ومتغيرات متجددة، ويتعرض لمخالطة أنواع الناس، وهذا يعني ضرورة استيعابه للبناء القيمي الإسلامي بوجه عام، والبناء القيمي الدعوي بشكل خاص، حتى يؤدي مهمته على أكمل وجه.

٤)) لتكون للقيم فاعليتها في ضبط سلوك الداعية فإنها تقوم على حرية الاختيار والإرادة، دون إجبار أو إكراه، ذلك أن " القيم تمثل توجها إيجابيا أو سلبيا حيال بعض الأشياء أو المواقف، وهذا يعني أن مفهوم القيمة يحمل خصيصة الانتقائية، حيث تكشف عن نفسها من خلال الاختيار بين بدائل، أو

---

(١) بتصرف، جلاد، ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٤٢.

(٢) بتصرف، عقل، د. محمود عطا: القيم السلوكية، ص ٦٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تفضيل سلوك على آخر"[1]، وفي الوقت ذاته تربط القيم بين الحرية والإرادة وبين المسؤولية والجزاء، بل أتاحت الاختيار بين الإيمان والكفر ولكنها أعقبت كل اختيار بجزاء[2]، قال تعالى: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ فَمَنْ يَكْفُرْ بِالطَّاغُوتِ وَيُؤْمِنْ بِاللَّهِ فَقَدِ اسْتَمْسَكَ بِالْعُرْوَةِ الْوُثْقَى لَا انْفِصَامَ لَهَا وَاللَّهُ سَمِيعٌ عَلِيمٌ} [البقرة: ٢٥٦]

المطلب الثالث: ضرورة السنة النبوية في بناء القيم الدعوية.

السنة النبوية هي: ما صدر عن النبي صلى الله عليه وسلم من قول أو فعل أو تقرير، فالسنن القولية هي أحاديثه التي قالها في مختلف الأغراض والمناسبات، كوصيته الكريمة للصحابيين، والسنن الفعلية هي: أفعاله مثل أدائه للصلوات الخمس بأركانها وهيئاتها، والسنن التقريرية هي: ما أقره مما صدر من بعض أصحابه من أقوال وأفعال بسكوته وعدم إنكاره، أو بموافقته وإظهار استحسانه[3]، ومعرفتها أمر ضروري لكل مسلم، فالسنة هي المصدر الثاني للتشريع الإسلامي بالاتفاق بين العلماء، والتحاكم إلى السنة النبوية من علامات الإيمان، قال تعالى: { فَلَا وَرَبِّكَ لَا يُؤْمِنُونَ حَتَّى يُحَكِّمُوكَ فِيمَا شَجَرَ بَيْنَهُمْ ثُمَّ لَا يَجِدُوا فِي أَنْفُسِهِمْ حَرَجًا مِمَّا قَضَيْتَ وَيُسَلِّمُوا تَسْلِيمًا} [النساء: ٦٥].

كما أن طاعة نبي الهدى صلى الله عليه وسلم علامة صادقة لطاعة الله تعالى: {قُلْ إِنْ كُنْتُمْ تُحِبُّونَ اللَّهَ فَاتَّبِعُونِي يُحْبِبْكُمُ اللَّهُ} [آل عمران: ٣١]، ومن علامات طاعته ومحبته: السير على خطاه والالتزام بمنهجه، خاصة في جانب الدعوة إلى الله، حيث إن الدعوة من أهم واجبات المسلمين حكاما ومحكومين، أمراء وجماعات، ذكورا وإناثا، وهي السبيل الذي أمر صلى الله عليه وسلم باتباعه وأمر أمته كذلك بالسير على هداه، في قوله تعالى: { قُلْ هَذِهِ سَبِيلِي أَدْعُو إِلَى اللَّهِ عَلَى بَصِيرَةٍ أَنَا وَمَنِ اتَّبَعَنِي....} [يوسف: ١٠٨]، فلا تنفك حاجة الدعوة إلى الله إلى السنة النبوية، لأن آيات القرآن الكريم صرحت بالمقصد والحكمة من التعرف على الهدي النبوي في قوله تعالى: { لَقَدْ كَانَ لَكُمْ فِي رَسُولِ اللَّهِ أُسْوَةٌ حَسَنَةٌ} [الأحزاب: ٢١]، قال الشيخ السعدي: " الأسوة الحسنة في الرسول صلى الله عليه وسلم فإن المتأسي به سالك الطريق الموصل إلى كرامة الله وهو الصرط المستقيم، وأما الأسوة بغيره إذا خالفه فهو

---

(١) عقل، د.محمود عطا: القيم السلوكية ص ٣٧.

(٢) بتصرف، جلاد، د ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، ص ٦١.

(٣) بتصرف، خلاف، عبد الوهاب، علم أصول الفقه، ص ٣٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الأسوة السيئة"[1]، وقد منّ الله تعالى على هذه الأمة ببعثة نبيه محمد صلى الله عليه وسلم ليقوم بأداء الرسالة وتزكية النفوس المؤمنة بالأعمال الصالحة وواجبات الإيمان، قال تعالى: {لَقَدْ مَنَّ اللَّهُ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ إِذْ بَعَثَ فِيهِمْ رَسُولًا مِنْ أَنْفُسِهِمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ } [آل عمران: ١٦٤]، فكان صلى الله عليه وسلم معلما هاديا داعيا يعلم الناس الحلال والحرام، ويعالج ما في نفوسهم من ميل وانحراف، وضعف واستكبار، و لم يقف صلى الله عليه وسلم في دعوة الناس إلى المنهج الأقوم والطريق الأمثل عند أمور العقيدة والعبادات، بل ربط ذلك بجميع شؤون حياتهم ودقائق أمورهم وخصائصها، لذا فإن دراسة القيم الدعوية من خلال السنة النبوية؛ أمر له أهميته الكبيرة عند كل داعية لأنها تعينه على الاقتداء به صلى الله عليه وسلم من خلال معرفة منهاج النبوة والقيم العليا التي ظهرت في أعماله وأقواله، وثمرة هذا اكتساب المسلم لمحبة النبي صلى الله عليه وسلم وتنميتها في قلبه.

---

(١) السعدي، عبد الرحمن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٠٩، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٧، ١٤١٨هـ/١٩٩٧م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المبحث الثاني: القيم الدعوية المتضمنة في الوصية النبوية: ((يسّرا ولا تعسّرا، وبشّرا ولا تنفّرا، تطاوعا ولا تختلفا))

المطلب الأول: وقفات مع الحديث الشريف.

جاء في الصحيحين، عن أبي موسى الأشعري رضي الله عنه قال: ((**أَنّ النَّبِيَّ** صلى الله عليه وسلم **بَعَثَهُ وَمُعَاذًا إِلَى الْيَمَنِ، فَقَالَ: ((يسّرا وَلَا تعسّرا، وَبشّرا وَلَا تنفّرا، وَتَطَاوَعَا وَلَا تَخْتَلِفَا))** [(١)].

كما روى الإمام البخاري رحمه الله: ((**بَعَثَ رَسُولُ اللَّهِ** صلى الله عليه وسلم **أَبَا مُوسَى وَمُعَاذَ بْنَ جَبَلٍ رضي الله عنهما إِلَى الْيَمَنِ، قَالَ: وَبَعَثَ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا عَلَى مِخْلَافٍ**[(٢)]**، قَالَ: وَالْيَمَنُ مِخْلَافَانِ، ثُمَّ قَالَ: ((يسّرا وَلَا تعسّرا، وَبشّرا وَلَا تنفّرا))، فَانْطَلَقَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِلَى عَمَلِهِ، وَكَانَ كُلُّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا إِذَا سَارَ فِي أَرْضِهِ كَانَ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَحْدَثَ بِهِ عَهْدًا فَسَلَّمَ عَلَيْهِ**[(٣)]**، فَسَارَ مُعَاذٌ رضي الله عنه فِي أَرْضِهِ قَرِيبًا مِنْ صَاحِبِهِ أَبِي مُوسَى رضي الله عنه ، فَجَاءَ يَسِيرُ عَلَى بَغْلَتِهِ حَتَّى انْتَهَى إِلَيْهِ، وَإِذَا هُوَ جَالِسٌ وَقَدِ اجْتَمَعَ إِلَيْهِ النَّاسُ وَإِذَا رَجُلٌ عِنْدَهُ قَدْ جُمِعَتْ يَدَاهُ إِلَى عُنُقِهِ، فَقَالَ لَهُ مُعَاذٌ: يَا عَبْدَ اللَّهِ بْنَ قَيْسٍ، أَيُّمَ هَذَا ؟ قَالَ: هَذَا رَجُلٌ كَفَرَ بَعْدَ إِسْلَامِهِ، قَالَ: لَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، قَالَ: إِنَّمَا جِيءَ بِهِ لِذَلِكَ، فَانْزِلْ، قَالَ: مَا أَنْزِلُ حَتَّى يُقْتَلَ، فَأَمَرَ بِهِ فَقُتِلَ، ثُمَّ نَزَلَ، فَقَالَ: يَا عَبْدَ اللَّهِ، كَيْفَ تَقْرَأُ الْقُرْآنَ؟ قَالَ: أَتَفَوَّقُهُ تَفَوُّقًا**[(٤)]**، قَالَ: فَكَيْفَ تَقْرَأُ أَنْتَ يَا مُعَاذُ؟ قَالَ: أَنَامُ أَوَّلَ اللَّيْلِ، فَأَقُومُ وَقَدْ قَضَيْتُ جُزْئِي مِنَ النَّوْمِ، فَأَقْرَأُ مَا كَتَبَ اللَّهُ لِي، فَأَحْتَسِبُ نَوْمَتِي كَمَا أَحْتَسِبُ قَوْمَتِي))** [(٥)].

وعن أبي موسى الأشعري **رضي الله عنه** ، قال: **لما بعثه رسول الله** صلى الله عليه وسلم **ومعاذا رضي الله عنه إلى اليمن قال لهما: ((يسّرا وَلا تعسّرا، وَبشّرا وَلا تنفّرا، وَتَطَاوَعَا))، فَقَالَ أَبُو مُوسَى رضي الله**

---

(١) سبق تخريجه.

(٢) المخلاف بلغة أهل اليمن هو: الكورة والإقليم والرُستاق، وكانت جهة معاذ ﷺ العليا إلى جنوب عدن، وكان من عمله الجَنَد، وكانت جهة أبي موسى ﷺ السفلى. بتصرف، ابن حجر: فتح الباري ٦١/٨.

(٣) يعني: أي جدد به العهد لزيارته، ابن حجر: فتح الباري، ٦١/٨.

(٤) أي: ألازم قراءته ليلا ونهارا شيئا بعد شيء، وحينا بعد حين، ابن حجر: فتح الباري ٦٢/٨.

(٥) صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب بعث أبي موسى الأشعري ومعاذ ﷺ إلى اليمن قبل حجة الوداع، ح ٤٣٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

عنه : يَا رَسُولَ اللَّهِ، إِنَّا بِأَرْضٍ يُصْنَعُ فِيهَا شَرَابٌ مِنَ الْعَسَلِ يُقَالُ لَهُ الْبِتْعُ، وَشَرَابٌ مِنَ الشَّعِيرِ يُقَالُ لَهُ الْمِزْرُ، فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صلى الله عليه وسلم: ((**كُلُّ مُسْكِرٍ حَرَامٌ**))[1].

لقد حفظت لنا السنة النبوية وصايا خالدة من النبي صلى الله عليه وسلم إلى أصحابه، تدلهم على الطريق السوي المستقيم الذي يقيمون به دينهم ويعيشون به في حياتهم، في حلهم وترحالهم وسلمهم وحربهم، كقوله في وصيته لمن أرسلهم مجاهدين فاتحين ناشرين لدين الله: ((**اغزوا باسم الله، في سبيل الله، قاتلوا من كفر بالله، اغزوا ولا تغلوا، ولا تغدروا، ولا تمثلوا، ولا تقتلوا وليدا...**))[2].

ومن وصاياه الكريمة لمن أرسلهم أمراء ودعاة حديث هذا البحث الذي اشتمل على الأمر بالتيسير واللطف والرفق بالمدعوين وبذل ما يزيد إقبالهم على الإسلام، ففي هذا الحديث " الأمر بالتبشير بفضل الله وعظيم ثوابه وجزيل عطائه وسعة رحمته، والنهي عن التنفير بذكر التخويف وأنواع الوعيد محضة من غير ضمها إلى التبشير"[3]، فالدعوة إلى الإسلام إذا وردت على مسامع الناس بصورتها التي أرادها الله تعالى من عباده تتقبلها القلوب، وإذا عرضت بغير الصورة المناسبة صرفت عنها، وقد يكون ما يصرفها عن الاستجابة للحق هو عناد المدعو وجحوده وتعلقه بهواه، كما أنها قد تنصرف بسبب الداعية نفسه إذا كان غليظا جافيا متشددا، ولذلك جاءت الوصية هنا بالحث على" تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليهم، وكذلك من قارب البلوغ من الصبيان، ومن بلغ، ومن تاب من المعاصي؛ كلهم يتلطف بهم ويدرجون في أنواع الطاعة قليلا قليلا"[4].

وقد ذكر الحديث الشريف ثلاث قيم دعوية أساسية لها أثر عظيم في نجاح الدعوة: هي قيم (التيسير وعدم التعسير، والتبشير وعدم التنفير، والتطاوع وعدم الاختلاف)، القيمتان الأولى والثانية تحكمان علاقة الداعية بالمدعوين، والثالثة تحكم وتنظم علاقته بغيره من الدعاة، ومقياس القيم المذكورة في الحديث من حيث التيسير أو التعسير، والتبشير أو التنفير، والتطاوع أو الاختلاف؛ هو مقياس النبي صلى الله عليه وسلم وأصحابه، ومصالح الشريعة الإسلامية ومقاصدها، لا ما تمليه أهواء الدعاة ومصالحهم، وهذا يلزم الدعاة بالرجوع إلى الهدي النبوي لمعرفة معاني هذه القيم وتطبيقاتها.

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأدب باب قول النبي صلى الله عليه وسلم ((يسّروا ولا تعسّروا)) ح ٦١٢٤.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الجهاد والسير، باب تأمير الإمام الأمراء على البعوث، ووصيته إياهم بآداب الغزو وغيرها ح ١٧٣١.

(٣) النووي: صحيح مسلم بشّرح النووي، ٤١/١٢، المطبعة المصرية ومكتبتها، مصر، ط: بدون.

(٤) المرجع السابق، ٤١/١٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وقد جمع في هذا الحديث بين القيم الثلاث وبين أضدادها، مما يؤكد بلاغة النبي صلى الله عليه وسلم حيث أنه يوصي الدعاة بلزوم التيسير والتبشير والتطاوع في جميع أحوالهم وأوقاتهم، بنهيهم عن ضدها، يقول الإمام النووي: " إنما جمع في هذه الألفاظ بين الشيء وضده، لأنه يفعلهما في وقتين، فلو اقتصر على يسّروا صدق ذلك على من يسر مرة أو مرات، وعسر في معظم الحالات، فإذا قال: ولا تعسّروا؛ انتفى التعسير في جميع الأحوال من جميع وجوهه، وهذا هو المطلوب، وكذا يقال في يسّرا ولا تنفّرا، وتطاوعا ولا تختلفا، لأنهما قد يتطاوعان في وقت ويختلفان في وقت، وقد يتطاوعان في شيء ويختلفان في شيء".

كما أن هناك قيم عديدة متضمنة في الحديث، من أهمها: قيمة (تحمل المسؤولية)، التي تظهر من تكليف النبي صلى الله عليه وسلم للصحابيين وتحميلهما المسؤولية الكاملة، وهي من القيم الإسلامية المهمة التي " لها دور كبير في بناء المجتمع وتطوره، وتتمثل في تقبل الداعية لكافة المسؤوليات والواجبات الملقاة على عاتقه، والقيام بها وأدائها وفق قدراته وطاقاته"[(١)]، فالمسؤولية بشكل عام تعني إقرار المرء بما يصدر عنه من أفعال، واستعداده لتحمل نتائجها، كما تعني القدرة على أن يلزم الداعية نفسه أولا، ثم قدرته على أن يفي بعد ذلك بالتزاماته بواسطة جهوده الخاصة وبإرادته الحرة[(٢)]، ومن ثم فالمسؤولية تُشعر الداعية بحريته في اختيار فعله، بما يحس به من قدرته على الاختيار وتوجيه مصيره مصداقا لقوله تعالى: {وَنَفْسٍ وَمَا سَوَّاهَا (٧) فَأَلْهَمَهَا فُجُورَهَا وَتَقْوَاهَا (٨) قَدْ أَفْلَحَ مَنْ زَكَّاهَا (٩) وَقَدْ خَابَ مَنْ دَسَّاهَا} [الشمس: ٧ – ١٠].

ولما كانت العملية الدعوية لا تتم إلا في محيط المدعوين؛ فإن مسؤولية الداعية تمتد إلى حيث التأثير في الآخرين، ومواجهة تأثيراتهم عليه، في نفس الوقت، وهذا يؤكد أهمية معالجة مفهوم المسؤولية لدى الداعية من خلال جانبين: الأول: جانب انعكاس قيم الدعوة السامية على ذات الداعية وشخصيته حين يتمثل معاييرها ومؤشراتها، والجانب الثاني: شعور الداعية بمسؤوليته عن مجتمعه الذي يحيط به، من حيث واجبه نحو هدايته وإصلاحه، وهذا يتضح من خلال مشاركته في تحقيق الخير لهذا المجتمع، ضمن مسؤوليته الاجتماعية كعضو إيجابي فيه، وفي مهمته كداعية إلى الله له قيمه ومثله العليا.

إن المتأمل في ترتيب القيم التي أوصى بها المصطفى يجد أنها تشكل ثلاث حلقات مرتبطة، تؤدي أولاها إلى التي تليها، فالداعية اليسير السهل يستبشر به الناس ويتفاءلون بدعوته وحديثه، والداعية الذي

---

(١) بتصرف، عقل، محمود عطا: القيم السلوكية ص ٩٢.

(٢) بتصرف، مكروم، د. عبد الودود: القيم في الفكر الغربي، ص ٤٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

يتمثل اليسر والبشر مع الآخرين سيكون بلا شك من أبعد الناس عن التعصب والتنازع بل أنه سيكون أكثر الناس طواعية ومرونة مع الأخرين.

المطلب الثاني: القيمة الدعوية في قوله: ((يسّرا ولا تعسّرا)):

إن القيمة التي يدعو لها النبي صلى الله عليه وسلم في قوله ((**يسّرا ولا تعسّرا**)) هي **قيمة (التيسير)**.

التيسير في اللغة ضد العسر، كما قال تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، وتيسّر: تسهّل، واليسر: السهل، كما قال تعالى: {لِيُنْفِقْ ذُو سَعَةٍ مِنْ سَعَتِهِ وَمَنْ قُدِرَ عَلَيْهِ رِزْقُهُ فَلْيُنْفِقْ مِمَّا آتَاهُ اللَّهُ لَا يُكَلِّفُ اللَّهُ نَفْسًا إِلَّا مَا آتَاهَا سَيَجْعَلُ اللَّهُ بَعْدَ عُسْرٍ يُسْرًا } [الطلاق: ٧]، وفي الحديث: ((**إن هذا الدين يسر**..)) أي سمح قليل التشديد، والتيسير يكون في الخير والشر كقوله تعالى: {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْيُسْرَى } [الليل: ٧] {فَسَنُيَسِّرُهُ لِلْعُسْرَى } [الليل: ١٠] [(١)]، و"التيسير يعني: قابلية الشخص للتنازل والأخذ بالأيسر، طالما أن التيسير ممكن ولا حرج منه شرعا" [(٢)].

وعكسه ما حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم وهو (التعسير) والعسر هو: الضيق والشدة والصعوبة [(٣)]، والتعسير: "أن يشدد الإنسان على نفسه أو غيره في أمر الدين بالزيادة عن المشروع، أو في أمر الدنيا، بترك الأيسر ما لم يكن إثما" [(٤)].

إن سمة هذا الدين: اليسر والسماحة، وقد قال صلى الله عليه وسلم: ((**أحب الدين إلى الله الحنيفية السمحة**)) أي: "أحب خصال الدين، لأن خصال الدين كلها محبوب، لكن ما كان منها سمحا- أي سهلا- فهو أحب إلى الله" [(٥)]، كما قال صلى الله عليه وسلم: ((**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشّروا، واستعينوا بالغدوة والروحة، وشيء من الدلجة**)) [(٦)]، فلن "يتعمق أحد في الأعمال الدينية ويترك الرفق إلا عجز وانقطع فيُغلب" [(٧)].

---

(١) انظر، الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص٥٥١، والزبيدي: تاج العروس فصل الياء من باب الراء. ٦٣٦/٣.

(٢) الخزندار، محود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ص ١٣٩، دار طيبة الرياض، ط:٨، ١٤٢٤هـ/١٠٠٣م..

(٣) انظر، الزبيدي، تاج العروس فصل العين من باب الراء، ٣٩٦/٣.

(٤) بن حميد، د. صالح بن عبد الله وآخرون: نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم صلى الله عليه وسلم ، ٤٢٠٩/٩.

(٥) ابن حجر: فتح الباري، ٩٤/١.

(٦) الحديثان في صحيح البخاري، كتاب الإيمان، باب الدين يسر، ح ٣٩.

(٧) ابن حجر: فتح الباري ١/ ٩٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وكتاب الله الخالد المحفوظ ميسر أيضا كما وصفه تعالى: {وَلَقَدْ يَسَّرْنَا الْقُرْآنَ لِلذِّكْرِ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ } [القمر: ١٧].

قيمة (التيسير) في القرآن الكريم والسنة النبوية:

إن التيسير على العباد هو مراد الله تعالى: {يُرِيدُ اللَّهُ بِكُمُ الْيُسْرَ وَلَا يُرِيدُ بِكُمُ الْعُسْرَ} [البقرة: ١٨٥]، قال الشيخ السعدي رحمه الله: " يريد الله تعالى أن ييسر عليكم الطرق الموصلة إلى رضوانه أعظم تيسير، ويسهلها أبلغ تسهيل، ولهذا كان جميع ما أمر الله به عباده في غاية السهولة في أصله، وإذا حصلت بعض العوارض الموجبة لثقله؛ سهّله تسهيلا آخر، إما بإسقاطه، أو تخفيفه بأنواع التخفيفات"[(١)].

كما أنه الصفة المميزة الغالبة على الرسول صلى الله عليه وسلم كما قال عن نفسه: ((**إن الله لم يبعثني معنتا ولا متعنتا، ولكن بعثني معلما ميسّرا**))[(٢)]، فلم يكن عليه الصلاة والسلام متشددا على الناس، ملزما إياهم ما يصعب عليهم بل كان رحمة مهداة، وقد وصفته أم المؤمنين عائشة رضي الله عنها: ((**ما خُير رسول الله** صلى الله عليه وسلم **بين أمرين قط؛ إلا أخذ أيسرهما ما لم يكن إثما، فإن كان إثما كان أبعد الناس منه**))[(٣)]، بل أنه يترك العمل وهو يحب أن يعمل به خشية أن يفرضه الله على الناس تيسيرا عليهم كتركه قيام الليل مع جماعة المسلمين[(٤)].

وقد حث على التيسير بالوعد بالمغفرة والوقاية من النار، كما جاء في قوله صلى الله عليه وسلم: ((**حرم على النار كل هين لين سهل قريب من الناس**))[(٥)]، وقوله صلى الله عليه وسلم: ((**غفر الله لرجل كان من قبلكم، سهلا إذا باع، سهلا إذا اشترى، سهلا إذا قضى، سهلا إذا اقتضى**))[(٦)]، " وسر هذه المغفرة أن السهولة

---

(١) تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٩.

(٢) صحيح مسلم كتاب الطلاق، باب بيان أن تخيير امرأته لا يكون طلاقا إلا بنية، ح ١٤٧٨.

(٣) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب: قول النبي صلى الله عليه وسلم (يسّروا ولا تعسّروا) ح ٦١٢٦.

(٤) انظر، صحيح البخاري كتاب التهجد، باب تحريض النبي صلى الله عليه وسلم على قيام الليل والنوافل من غير إيجاب ح ١١٢٩، وكذلك قوله::((إني دخلت الكعبة، وودت أني لم أكن فعلت، إني أخاف أن أكون قد أتعبت أمتي من بعدي)) سنن الترمذي كتاب الحج باب ما جاء في دخول الكعبة ٢١٤/٣ ح ٨٧٣ وقال: حديث حسن صحيح.

(٥) مسند الإمام أحمد ٤١٥/١، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع، ح ٣١٣٥.

(٦) مسد الإمام أحمد ٣٤٠/٣، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع ح٤١٦٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

واليسر طبعت تصرفاته كلها، وطبيعة هذا الدين التيسير، ومن قواعده الشرعية رفع الحرج، فما كان أيسر كان أرضى لله"[1].

أهمية قيمة (التيسير) في الدعوة إلى الله:

لا شك بأن الوصية النبوية قد اشتملت على أهم القيم التي يجب أن يتحلى بها الداعية، ومن أولها (التيسير)، فقد نهي الدين عن التعسير على الناس، ومن أوجه التعسير المبالغة والمغالاة والبعد عن التوسط، وقد بيّن تعالى مخالفة ذلك لمراده في قوله: {وَمَا جَعَلَ عَلَيْكُمْ فِي الدِّينِ مِنْ حَرَجٍ} [الحج: ٧٨]، والتشديد والتعسير على الناس سهل وميسور على كثير من الدعاة، ولكن الذي لا يحسنه إلا القليل التيسير عليهم في التعليم والافتاء بما يخفف عنهم ثقل التكاليف الشريعة أو يخرجهم من المشقة، ولذلك قال السلف: " إنما العلم أن تسمع بالرخصة من ثقة، فأما التشديد فيحسنه كل أحد".

وهي قيمة ضرورية توجّه أمره صلى الله عليه وسلم لعموم المسلمين بالتخلق بها في تعاملهم وتعليمهم ودعوتهم لغيرهم، وذلك في قوله: ((**يسّروا ولا تعسّروا، وسكنوا ولا تنفّروا**))[2]، للأثر العظيم لتطبيق هذه القيمة في الدعوة إلى الله "فمتى يسر على الداخل في الطاعة أو المريد للدخول فيها سهلت عليه، وكانت عاقبته غالبا التزايد منها، ومتى عسرت عليه أوشك أن لا يدخل فيها، وإن دخل أوشك أن لا يدوم أو لا يستحليها"[3]، ومثال ذلك توجيه النبي صلى الله عليه وسلم لصحابته إلى أهمية الالتزام بها ونهيه عن التعسير والتشديد الذي يوقع المدعوين في الحرج، وإنكاره على الصحابة لما ثاروا وكادوا أن يقعوا بالأعرابي الذي بال في المسجد: ((**دعوه واهريقوا على بوله ذنوبا من ماء، أو سجلا من ماء، فإنما بعثتم ميسرين ولم تبعثوا معسرين**))[4].

ومما يؤكد أهمية التزام الداعية التيسير؛ الأمر به حتى في حالة الغزو، فقد جاء في الحديث الشريف أمر المجاهدين في سبيل الله بالتيسير مع بعضهم لئلا يفسد عليهم التعسير مودتهم وصفاء قلوبهم، قال صلى الله عليه وسلم: ((**الغزو غزوان: فأما من ابتغى وجه الله، وأطاع الإمام، وأنفق الكريمة، وياسر الشريك، واجتنب الفساد، فإن نومه ونبهه أجر كله، وأما من غزا فخرا ورياء وسمعة، وعصى الإمام**

---

(١) الخزندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ص ١٤٢.

(٢) صحيح البخاري، كتاب الأدب، باب قوله صلى الله عليه وسلم : ((يسّروا ولا تعسّروا)) ح ٦١٢٥.

(٣) النووي، شرح صحيح مسلم، ٤١/١٢.

(٤) صحيح البخاري، سبق تخريجه.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

وأفسد في الأرض، فإنه لم يرجع بالكفاف)) [1]، ومعنى "ياسر الشريك: من المياسرة، بمعنى المساهلة أي ساهل الرفيق وعامله باليسر" [2].

وإن من مقاصد التيسير في الشريعة: أن يداوم المسلم على العمل، خاصة " فيما كان من النوافل مما كان شاقا لئلا يفضي بصاحبه إلى الملل فيتركه أصلا، أو يعجب بعمله فيحبط فيما رخص به فيه من الفرائض، كصلاة الفرض قاعدا للعاجز، والفطر في الفرض لمن سافر فيشق عليه" [3]، لأن أخذ النفس بالعزيمة عند الرخصة، وإلزامها بما لا تطيقه مظنة انقطاعها وفتورها، وقد دخل النبي صلى الله عليه وسلم ذات مرة "**فإذا حبل ممدود بين الساريتين، فقال: ما هذا الحبل؟ قالوا: هذا حبل لزينب، فإذا فترت تعلقت. فقال النبي** صلى الله عليه وسلم: **لا، حلوه، ليصل أحدكم نشاطه، فإذا فتر فليقعد**" [4].

من مؤشرات قيمة (التيسير) في الدعوة إلى الله:

١)) التخفيف عن الناس في العبادات الشرعية ومراعاة أحوالهم وظروفهم، لئلا يوقعهم في المشقة، وقد كان النبي صلى الله عليه وسلم يراعي أحوال من يأتم به من المسلمين، ويخفف عنهم عند توقع المشقة، حتى لو كانت على واحد منهم، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم: ((**إني لأقوم إلى الصلاة وأنا أريد أن أطول فيها؛ فأسمع بكاء الصبي فأتجوز كراهية أن أشق على أمه))** [5].

٢)) المرونة في تطبيق بعض أحكام الشريعة، فالقيم في الإسلام ثابتة في أصلها، مرنة في تطبيقها، وهناك أسباب لتغير الأحكام تتعلق بالمكان أو الزمان أو الأحوال [6]، وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله هذا في قوله: "الأحكام نوعان: نوع لا يتغير عن حالة واحدة، هو عليها لا بحسب الأزمنة والأمكنة، ولا اجتهاد الأئمة، كوجوب الواجبات وتحريم المحرمات، والحدود المقدرة بالشرع على الجرائم ونحو ذلك، فهذا لا يتطرق إليه تغيير ولا اجتهاد يخالف ما وضع عليه.

---

(١) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن أبي داود، ح ٢١٩٥.

(٢) العظيم آبادي، محمد شمس الحق: عون المعبود شرح سنن أبي داود،١٩١/٧، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط:٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

(٣) ابن حجر: فتح الباري، ٥٢٥/١٠.

(٤) صحيح البخاري، كتاب التهجد، باب ما يكره من التشدد في العبادة، ح ١١٥٠.

(٥) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن أبي داود، ح ٧٠٨.

(٦) المانع، د.مانع محمد علي: القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة، ص ٢٧٥، دار الفضيلة، الرياض، ط:١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والنوع الثاني: ما يتغير بحسب اقتضاء المصلحة له زمانا ومكانا وحالا، كمقادير التعزيرات وأجناسها وصفاتها، فإن الشرع ينوع فيها بحسب المصلحة"[(١)].

ومما لا شك فيه أن مرونة الإسلام في تغير بعض الأحكام الشرعية تبعا للمكان والزمان والأحوال، مع الأخذ بالضوابط التي نص عليها العلماء في هذا؛ مما يعزز قيمة (التيسير) في الدعوة إلى الله، بإزالة المشقة وتكليف العباد ما لا يطيقون، وقد بين الإمام ابن القيم رحمه الله بقوله في فصل: تغير الفتوى واختلافها بحسب تغير الأزمنة والأمكنة والأحوال والنيات والعوائد " هذا فصل عظيم النفع جدا، وقع بسبب الجهل به غلط عظيم على الشريعة الباهرة التي في أعلى رتب المصالح لا تأتي به، فإن الشريعة مبناها وأساسها على الحكم ومصالح العباد في المعاش والمعاد، وهي عدل كلها، ورحمة كلها ومصالح كلها، فكل مسألة خرجت عن العدل إلى الجور، وعن الرحمة إلى ضدها، وعن المصلحة إلى المفسدة، وعن الحكمة إلى العبث فليست من الشريعة وإن أدخلت فيها بالتأويل"[(٢)]، ولذلك اهتم الفقهاء بالقواعد الفقهية التي تحقق مقاصد الشريعة ومنها: قاعدة (المشقة تجلب التيسير).

"ومن المهم هنا التنبيه إلى الفرق بين اختلاف الفتوى، واختلاف الحكم، فاختلاف الفتوى تكون بمراعاة المفتي لحال الشخص أو الزمان أو المكان، أو بعض الموانع التي تغير الفتوى لعدم توفر الشروط في المسألة المفتى بها، وفي هذه الحالة تكون الفتوى متوافقة مع الحكم لأن الحكم لا ينطبق إلا إذا توفرت شروطه وانتفت موانعه"[(٣)].

٣)) من مؤشرات التيسير في الدعوة إلى الله: الاعتدال في ذكر النماذج المضيئة والقدوات عبر التاريخ، فالناس يحتاجون إلى من يزرع فيهم الأمل والتفاؤل والإيمان بإمكانية تحقيق التقدم، وتحسين مستوى التزامهم وتدينهم والارتقاء بنفسهم ومجتمعهم، لا إلى من يشعرهم بأن بينهم وبين القدوات التي حفظها لنا التاريخ فرقا كبيرا ومن المستحيل بلوغ ما وصلوا إليه، وإلا فما الفائدة من أمر المسلمين بالاقتداء بالنبي صلى الله عليه وسلم وهو من أكمل البشّر في جميع الجوانب مع علمه بنقص حالهم، وعدم

---

(١) إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، ١/٣٣٠-٣٣١، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، ط: بدون.

(٢) أعلام الموقعين عن رب العالمين، ٢/٣، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل بيروت، ط بدون. وقد ذكر رحمه الله أمثلة عديدة لتغير الأحكام والفتوى تبعا لأسباب التغير مثل تغير حكم الإنكار والنهي عن إقامة بعض الحدود في الغزو، وأحوال يسقط فيها تطبيق بعض الحدود وصدقة الفطر وطواف الحائض بالبيت، ٣/ ٣- ٤٠.

(٣) الجليل، عبد العزيز ناصر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، ص ٢٨٧، وقد فصل في ضوابط هذه القاعدة لمنع تحايل بعض المستفتين. انظر من ص ٢٨٦-٢٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قدرتهم على الوصول إلى مرتبته الأخلاقية، إلا أن يبقى للمسلم مثلا أعلى يسعى إليه بكل طموح، دون الشعور باليأس أو الإحباط.

٤)) من مؤشرات قيمة (التيسير) في الدعوة: التدرج مع المدعوين، وهي منهجية الإسلام في سن أحكام الشريعة كفرض الصلاة والصيام، وتحريم الخمر، " وهذه السنة الإلهية في مراعاة التدرج؛ ينبغي أن تتبع في سياسة الناس، وعندما يراد تطبيق نظام الإسلام في الحياة، واستئناف حياة إسلامية متكاملة"[(١)].

٥)) من مؤشرات قيمة (التيسير) في الدعوة الإسلامية: مراعاة أعراف الناس، ومسايرتهم فيها ما دامت مقبولة شرعا، و العرف هو: ما تعارفه الناس وساروا عليه، من قول، أو فعل، أو ترك؛ ويسمى عادة، وفي لسان الشرعيين لا فرق بين العرف والعادة.... والمقصود هنا التيسير على الناس بمراعاة أعرافهم الصحيحة دون الفاسدة، حيث إن العرف ينقسم إلى نوعين:

عرف صحيح: وهو ما تعارفه الناس، ولا يخالف دليلا شرعيا، ولا يحل محرما، ولا يبطل واجبا، ولا يفوت مصلحة أو يجلب مفسدة، كتعارفهم تقسيم المهر إلى مقدم ومؤخر، وأن الزوجة لا تزف إلى زوجها لا إذا قبضت جزءا من مهرها، وتعارفهم وقف بعض المنقولات كالكتب العلمية.

وعرف فاسد: وهو ما تعارفه الناس، ولكنه يخالف الشرع وأحكامه وأدلته وأحكامه الثابتة التي لا تتغير بتغير الأمكنة والأزمنة والبيئات، أو يحل محرما أم يبطل واجبا، مثل تعارف الناس على كثير من المنكرات في الموالد والمآتم، وتعارفهم شرب الخمر، والتعامل بالربا، وخروج النساء متبرجات[(٢)].

٦)) من مؤشرات تيسير الداعية: تنازله عن بعض حقه الدنيوي، بما لا يوقع الضرر عليه، ويقربه من المدعوين ويتألف به قلوبهم، وتيسير الداعية وسماحته مع الناس في أمور الدنيا سبيل الحصول على مغفرة الله وتجاوزه وعفوه عنه يوم القيامة، كما جاء عن النبي صلى الله عليه وسلم: ((**حوسب رجل ممكن كان قبلكم، فلم يوجد له من الخير شيء، إلا أنه كان يخالط الناس، وكان موسرا، فكان يأمر غلمانه أن يتجاوزوا عن المعسر، قال: قال الله عز وجل: نحن أحق بذلك منه، تجاوزوا عنه**))[(٣)].

تطبيقات مخالفة لقيمة (التيسير) في الدعوة إلى الله:

---

(١) القرضاوي، د.يوسف: الخصائص العامة للإسلام، ص ١٨٢،مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٢، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م.

(٢) انظر، خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه، ص ٨٩، دار القلم، القاهرة، ط:١٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م، وانظر، بدران، د.بدران أبو العينين: أصول الفقه الإسلامي، ص ٢٢٦-٢٢٧، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط:بدون، ١٩٨٤م.

(٣) صحيح مسلم، كتاب المساقاة، باب فضل إنظار المعسر، ح ١٥٦١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

هناك بعض التطبيقات الدعوية التي تخالف التيسير؛ بل توصف بأنها تعسير على الناس، ومنها ما يظنه الداعية من التيسير على الناس، ولكنها في حقيقة الأمر لا تتفق مع معايير هذه القيمة السامية، كفرض القيود على الناس، وإلزامهم بالعزائم، والإكثار من التكاليف، والإثقال عليهم بالموعظة إلى غير ذلك مما يعسر على الناس دينهم، ومن أمثلة التطبيقات المخالفة للتيسير ما يأتي:

١)) من التعسير إكراه الناس على الدخول في الدين، وقد نهى الله تعالى عن ذلك بقوله: {لَا إِكْرَاهَ فِي الدِّينِ قَدْ تَبَيَّنَ الرُّشْدُ مِنَ الْغَيِّ} [البقرة: ٢٥٦]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: "أي لا تكرهوا أحدا على الدخول في دين الإسلام، فإنه واضح بيّن جليّ دلائله وبراهينه، لا يحتاج إلى أن يكره أحد على الدخول فيه، بل من هداه الله للإسلام وشرح صدره ونوّر بصيرته دخل فيه عن بينة، ومن أعمى الله قلبه وختم على سمعه وبصره، فإنه لا يفيده الدخول في الدين مكرها مقسورا"[(١)]، بل قد تنفره محاولة إكراهه أكثر، وإن أسلم عن إكراه سرعان ما يرتد عندما تتاح له الفرصة.

٢)) تحريم ما أباحه الله تعالى أو تحريم ماسكت عنه الشارع، وذلك بسبب ميل الداعية إلى التضييق والتشديد والإسراف في القول بالتحريم، بدافع الاحتياط للدين، "وإنك لتجد في طلبة العلم من يبحث – مع الأسف– عن التعسير والتشديد، ولا يعرف للرخصة ولا للمختلف فيه معنى، ويجعل من الأخذ بالأحوط سبيلا للتضييق على المسلمين ودفعهم دون قصد إلى أن يخرجوا عن نطاق الشريعة عزائمها ورخصها، وهذا من ضعف الفهم للشريعة السمحة، وضعف الفهم للطبيعة البشّرية والواقع المعيش"[(٢)].

٣)) من التعسير تضييق ما وسّعه الإسلام، كمن يحصر رحمة الله الواسعة في أصناف معينة من البشّر، ومن يضيق باب التوبة، بل قد يوصده أمام العصاة وغير المسلمين، أو من يغلب جانب الترهيب والتيئيس من رحمة الله، فيسبب القنوط والنفور من الدين.

٤)) تعدد الممارسات الدينية الخاطئة التي كان سببها التشديد من جانب الداعية، كتقربه لله تعالى بقصد المشقة وشعوره بتعاظم الأجر مع تعاظم المشقة، وفي هذا يقول الإمام الشاطبي رحمه الله: "المشقة: ليس للمكلف أن يقصدها... وله أن يقصد العمل الذي يعظم أجره لعظم مشقته من حيث هو عمل... فإذا كان قصد المكلف إيقاع المشقة؛ فقد خالف قصد الشارع، من حيث إن الشارع لا يقصد بالتكليف نفس المشقة، وكل قصد يخالف قصد الشارع فهو باطل"[(٣)].

---

(١) تفسير القرآن العظيم، ٤٥٩/١.

(٢) بكار، عبد الكريم: المتحدث الجيد ص ٧٦.

(٣) باختصار، الشاطبي: الموافقات، ١٢٨/٢-١٢٩.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٥)) من التطبيقات الدعوية التي تحتاج إلى تصحيح: الوقوع في الإفراط أو في التفريط في الدعوة والبعد عن التوسط، فالإفراط في المنع فيه تعسير على المدعوين، وفي الوقت ذاته فإن التفريط في جانب حرمات الله والتهاون عند أحكام الشريعة فيه تيسير خاطئ، فليس من التيسير "الضعف والمداهنة التي تغطي على الخلافات وتعمل على ترميمها ظاهريا وتلفق موقف اتفاق زائف"[(١)] بحجة التيسير وعدم التعسير، كما أن التيسير لا يتحقق بالسكوت عن الحق وكتم العلم، وقد ذم الله تعالى من يكتم العلم في قوله: {إِنَّ الَّذِينَ يَكْتُمُونَ مَا أَنْزَلْنَا مِنَ الْبَيِّنَاتِ وَالْهُدَى مِنْ بَعْدِ مَا بَيَّنَّاهُ لِلنَّاسِ فِي الْكِتَابِ أُولَئِكَ يَلْعَنُهُمُ اللَّهُ وَيَلْعَنُهُمُ اللَّاعِنُونَ} [البقرة: ١٥٩]، كما أن التيسير لا يكون بتقسيم أو تجزئة النصوص الشرعية أو اختزالها في أحكام معينة ترضي الناس ولا تبالي برضا الله، وإنما تقع هذه الأخطاء نتيجة عدم فقه مقاصد الدين الإسلامي والفهم السقيم والخاطئ لنصوص الوحيين، والظن أن سلوك طريق السلامة إنما يكون بكف الناس ومنعهم وتوسيع دائرة المنهيات، وهذا أمر حذر منه النبي صلى الله عليه وسلم.

٦)) قد يغالي بعض الدعاة في جانب التيسير، فيهوّن من شأن أحكام الشريعة، ويتساهل في الإفتاء والتوسيع على الناس تطبيقا لقيمة التيسير، ويرى أن الأمر ليس فيه إلا السعة، ويتفلت من التكاليف الشرعية لأدنى مشقة تعتريها، بحجة مخالفتها ليسر الشريعة، وبعضهم قد يدفعه إلى ذلك عدم اقتناعه بقاعدة (سد الذرائع)، حيث يرى أن الأصل في الأمور الإباحة دون نظر إلى عاقبة الفتوى ومآل الحكم، رغم أن قاعدة (سد الذرائع) قاعدة مهمة، ويحصل بإلغائها مفاسد عظيمة في دين الناس وأعراضهم ونفوسهم وعقولهم، وقد ذكر الإمام ابن القيم رحمه الله في كتابه(أعلام الموقعين عن رب العالمين) تسعة وتسعين وجها لاستخدامها، والداعية الموفق هو الذي يلاحظ أحوال المدعوين، خاصة في الأمور المتعلقة بالجوانب الاجتماعية أو الأحكام المتعلقة بالمرأة، أو علاقة الأمة الإسلامية بغيرها من الأمم غير المسلمة، أو ما يتعلق بالمستجدات والمتغيرات المعاصرة، خاصة إذا كان هناك تحايل من بعض المدعوين أو محاولات لنشر الفساد من قِبل من يتربص بمثل هذه الفتاوى[(٢)].

٧)) قد يتوهم البعض يسر الشريعة بتتبع الرخص، والتفتيش عنها في كل مجال، حتى لو كانت شاذة أو مهجورة من قبل العلماء، فيعتمدها اتباعا للهوى ويعمل على نشرها، ويمارس ذلك بحجة أن رأي

---

(١) اللحيدان، د عبد الله فهد: التسامح في الإسلام، ص ١٣، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض،،ط:١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

(٢) انظر التفصيل عند الجليل، عبد العزيز ناصر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، من ص ٢٢٩- ٢٥١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الإمام معتبر، فهو يقع في هذا الخطأ كما يزعم باسم الدين دون مراعاة لضوابط الرخص في الشريعة [1]، مما يؤدي إلى ضعف الوازع الديني لدى الناس وإلى التفلت من تطبيق أحكامه..

٨)) التشدد والتعجل في الحكم على أفعال الناس، وانتقادهم في تطبيقهم لبعض أمور الدين والحكم عليهم دون مراعاة لقيمة (التيسير)، ومن ذلك ما جرى لأبي برزة السلمي **رضي الله عنه** فيما رواه الأزرق بن قيس رحمه الله فيقول: ((**كنا على شاطئ نهر بالأهواز، قد نضب عنه الماء، فجاء أبو برزة الأسلمي على فرس فصلى وخلى فرسه، فانطلقت الفرس، فترك صلاته وتبعها حتى أدركها فأخذها، ثم جاء فقضى صلاته، وفينا رجل له رأي، فأقبل يقول: انظروا إلى هذا الشيخ، ترك صلاته من أجل فرس، فأقبل فقال: ما عنفني أحد منذ فارقت رسول الله** صلى الله عليه وسلم، **وقال: إن منزلي متراخ، فلو صليت وتركت لم آت أهلي إلى الليل، وذكر أنه صحب النبي** صلى الله عليه وسلم **فرأي من تيسيره**)) [2]، وفي رواية أنه قال: ((**إني سمعت قولكم، وإني غزوت مع رسول الله** صلى الله عليه وسلم **ست غزوات، أو سبع غزوات، أو ثمانيا، وشهدت تيسيره**)) [3].

٩)) مسايرة الناس في ضعف الوازع الديني وضعف إيمانهم وميلهم للشهوات، فالتيسير لا يعني التساهل والغفلة وإحسان الظن بكل أحد، خاصة في مجال الافتاء، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: " يحرم عليه- أي المفتي- إذا جاءته مسألة فيها تحيّل على إسقاط واجب، أو تحليل محرم، أو مكر أو خداع؛ أن يعين المستفتي فيها ويرشده إلى مطلوبه، أو يفتيه بالظاهر الذي يتوصل به إلى مقصوده، بل ينبغي أن يكون بصيرا بمكر الناس وخداعهم وأحوالهم... وإن لم يكن كذلك زاغ وأزاغ، وكم من مسألة ظاهرها جميل، وباطنها مكر وخداع وظلم" [4].

١٠)) من الشبهات المتعلقة بقيمة التيسير ورفع الحرج عن الناس قولهم: بأن من التيسير اختيار الأيسر من أقوال العلماء عند الاختلاف، ويقولون: إن هذا من باب الأخذ بالرخص، والتيسير على الناس ما دام فيه اختلافا بين العلماء، فيأخذ الداعية بأي قول لأهل العلم ولوكان مهجورا وشاذا، أو مرجوحا

---

(١) انظر تفصيل هذه القضية، الخليلي، محمد أنيس مصطفى: فقه الاختلاف، من ص ٤٢٧-٤٣٥،المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

(٢) صحيح البخاري كتاب الأدب، باب قول النبي صلى الله عليه وسلم : ((يسّروا ولا تعسّروا))، ح ٦١٢٧.

(٣) صحيح البخاري، كتاب العمل في الصلاة، باب إذا انفلتت الدابة في الصلاة، ح ١٢١١.

(٤) باختصار، ابن القيم: أعلام الموقعين، ٢٨٦/٤.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

تيسيرا على الناس، أو مسايرة للواقع ومواكبة للعصر، أو جهلا بمقاصد الشريعة وأدلة الأحكام ومناطاتها، والشبهة هنا زيادة " هذا الأمر على قدر الكفاية، حتى صار الخلاف في المسائل معدودا في حجج الإباحة، ووقع فيما تقدم وتأخر من الزمان الاعتماد في جواز الفعل على كونه مختلفا فيه بين أهل العلم، لا بمعنى مراعاة الاختلاف... فربما وقع الافتاء بالمسألة بالمنع، فيُقال: لم تمنع والمسألة مختلف فيها؟ فيجعل الخلاف حجة في الجواز لمجرد كونها مختلفا فيها، لا لدليل يدل على صحة مذهب الجواز، ولا لتقليد من هو أولى بالتقليد من القائل بالمنع... ولو لزم ما ذهب إليه هذا القائل للزم مثله في الربا والصرف ونكاح المتعة؛ لأن الأمة قد اختلفت فيها"[1]، ويرد الإمام ابن القيم رحمه الله على هذه الشبهة بقوله: "وقولهم: إن مسائل الخلاف لا إنكار فيها؛ ليس بصحيح، فإن الإنكار إما أن يتوجه إلى القول والفتوى أو العمل، أما الأول: فإذا كان القول يخالف سنة أو إجماعا شائعا وجب إنكاره اتفاقا، وإن لم يكن كذلك فإن بيان ضعفه ومخالفته للدليل إنكار مثله، وأما العمل فإذا كان على خلاف سنة و إجماع وجب إنكاره بحسب درجات الإنكار.... وأما إذا لم يكن في المسألة سنة ولا إجماع، وللاجتهاد فيها مساغ؛ لم تنكر على من عمل بها مجتهدا أو مقلدا، وإنما دخل هذا اللبس من جهة أن القائل يعتقد أن مسائل الخلاف هي مسائل الاجتهاد... والصواب ما عليه الأئمة: أن مسائل الاجتهاد ما لم يكن فيها دليل يجب العمل به وجوبا ظاهرا مثل حديث صحيح لا معارض له من جنسه فيسوغ فيها الاجتهاد لتعارض الأدلة أو لخفاء الأدلة فيها"[2].

---

(١) باختصار، الشاطبي: الموافقات ١٠٢/٢.

(٢) باختصار، ابن القيم: أعلام الموقعين، ٢٨٨/٣، ولتفصيل هذه القضية انظر، الجليل، عبد العزيز ناصر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، من ص ٢٦٠-٢٦٧.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المطلب الثالث: القيمة الدعوية في قوله: ((بشّرا ولا تنفّرا)).

القيمة الدعوية الثانية التي وصى بها النبي صلى الله عليه وسلم، هي (التبشير) و التبشير لغة: من بشّر بالأمر يبشره بشرا: أي فرح، وقد يكون التبشير بالخير أو بالشر، وقد جاء التبشير بالخير في قوله تعالى: {إِنَّ الَّذِينَ قَالُوا رَبُّنَا اللَّهُ ثُمَّ اسْتَقَامُوا تَتَنَزَّلُ عَلَيْهِمُ الْمَلَائِكَةُ أَلَّا تَخَافُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَبْشِرُوا بِالْجَنَّةِ الَّتِي كُنْتُمْ تُوعَدُونَ} [فصلت: ٣٠]، كما جاء التبشير بالشر في قوله تعالى: { فَبَشِّرْهُمْ بِعَذَابٍ أَلِيمٍ } [آل عمران: ٢١]، والبشارة المطلقة لا تكون إلا بالخير، وإنما تكون بالشر إذا كانت مقيّدة، والتبشير في عرف اللغة مختص بالخير الذي يفيد السرور، إلا أنه في أصل اللغة عبارة عن الخبر الذي يؤثر في البشّرة تغيرا، وهذا يكون للحزن أيضا[(١)].

ويضاد التبشير: التنفير الذي حذر منه صلى الله عليه وسلم، ومعناه لغة: نفره عليه تنفيرا، إذا قضى عليه بالغلبة، ونفّر عنه تنفيرا: أي لقيه لقيا مكروها، والتنفير: الإفزاع والدفع عن الشيء[(٢)]، ومنه قوله تعالى :{كَأَنَّهُمْ حُمُرٌ مُسْتَنْفِرَةٌ } [المدثر: ٥٠]، مستنفّرة بكسر الفاء: نافرة، وبفتح الفاء: مذعورة[(٣)]، ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم: ((**بشّروا ولا تنفّروا**)) أي لا تلقوهم بما يحملهم على النفور، ويقال: نفر نفورا ونفارا: إذا فرّ وذهب، وفي الحديث: ((**إن منكم منفرين**)) أي من يلقى الناس بالغلظة والشدة، فينفرون من الإسلام والدين[(٤)].

والمقصود بقيمة (التبشير): " التخلق بالصفات التي تستدعي الاستئناس والارتياح والتحبب وبث الأمل في القلوب، والبعد عن أساليب التنفير ودواعي الانقباض"[(٥)].

والتبشير من خصائص القرآن الكريم قال تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا } [الإسراء: ٩]، قال الحافظ ابن كثير رحمه الله: " بشيرا للمؤمنين بجزيل الثواب، ونذيرا للكافرين من وبيل العقاب"[(٦)].

---

(١) انظر، الزبيدي: تاج العروس، فصل الباء من باب الراء، ٣/٤٤-٤٥.

(٢) انظر، الزبيدي: تاج العروس، فصل النون من باب الراء، ٣/٥٧٨، ونظرة النعيم ٩/٤٢٩٦..

(٣) انظر، الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح ص ٢٧٦. دار الكتب العربي لبنان، ط:١، ١٩٧٩م.

(٤) بتصرف، ابن الأثير، مجد الدين ابي السعادات المبارك بمن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث، ٥/٩٢، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، ط:١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

(٥) الخزندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ص ١١١.

(٦) تفسير القرآن العظيم، ٦/٤٣١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

قيمة (التبشير) في القرآن الكريم والسنة النبوية:

إن النبي صلى الله عليه وسلم بعث بشيرا للمؤمنين، ونذيرا للكافرين، وهي مهمة الأنبياء والرسل عليهم الصلاة والسلام من قبله كما قال تعالى: {وَمَا نُرْسِلُ الْمُرْسَلِينَ إِلَّا مُبَشِّرِينَ وَمُنْذِرِينَ فَمَنْ آمَنَ وَأَصْلَحَ فَلَا خَوْفٌ عَلَيْهِمْ وَلَا هُمْ يَحْزَنُونَ } [الأنعام: ٤٨].

كما ورد الأمر الالهي بتبشير المؤمنين في آيات عديدة، كقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الصَّابِرِينَ } [البقرة: ١٥٥] وقوله تعالى: {وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ} [البقرة: ٢٢٣] {وَبَشِّرِ الَّذِينَ آمَنُوا أَنَّ لَهُمْ قَدَمَ صِدْقٍ عِنْدَ رَبِّهِمْ } [يونس: ٢].

وجاء تبشير الله تعالى للمؤمنين الذين باعوا أرواحهم مخلصين بها لله وثبتوا في الجهاد؛ بعظيم الأجر في قوله تعالى: {فَاسْتَبْشِرُوا بِبَيْعِكُمُ الَّذِي بَايَعْتُمْ بِهِ } [التوبة: ١١١].

كما وردت أحاديث كثيرة تحمل البشارة لفظا ومعنى، منها ما رواه أبو موسى الأشعري رضي: ((**كنت عند رسول الله** صلى الله عليه وسلم **بالجعرانة، فأتى أعرابي فقال: ألا تنجز لي ما وعدتني؟ قال:** ((**أبشر)) قال: قد أكثرت من البشرى. فأقبل رسول الله** صلى الله عليه وسلم **عليّ وعلى بلال فقال: إن هذا قد رد البشرى، فاقبلا أنتما، فقالا: قبلنا يا رسول الله. فدعا بقدح، فغسل يديه ووجهه فيه، ومجّ فيه، ثم قال: اشربا منه، وأفرغا على رؤوسكما ونحوركما، ففعلا. فنادت أم سلمة من وراء الستر: أن فضّلا لأمكما، فأفضلا لها منه))** [(١)].

أهمية قيمة (التبشير) في الدعوة إلى الله:

وفي قوله تعالى: {إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ وَيُبَشِّرُ الْمُؤْمِنِينَ الَّذِينَ يَعْمَلُونَ الصَّالِحَاتِ أَنَّ لَهُمْ أَجْرًا كَبِيرًا} [الإسراء: ٩]، ارتباط واضح بيّن بين قيمة (التبشير) وبين هداية الناس ودعوتهم، فالله تعالى يؤكد هداية القرآن إلى أفضل الطرق والأساليب التي يدعى بها الناس، فالتي هي أقوم هي: الطريقة التي هي أسدّ وأعدل وأصوب [(٢)]، وهو يحمل في آيته البشارة بالأجر العظيم يوم القيامة من رب العالمين.

إن طلاقة وجه الداعية وتبشيره للمدعوين بالأجر الجزيل والمغفرة من الله مما يحث على التزام الطاعات واجتناب المعاصي، ومجيء التبشير ضمن مهام النبي صلى الله عليه وسلم الداعية، يؤكد الترابط القوي بين هذه القيمة السامية وبين من يؤدي هذه المهمة، قال تعالى: {أَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِدًا وَمُبَشِّرًا وَنَذِيرًا (٤٥) وَدَاعِيًا إِلَى اللَّهِ بِإِذْنِهِ وَسِرَاجًا مُنِيرًا (٤٦) وَبَشِّرِ الْمُؤْمِنِينَ بِأَنَّ لَهُمْ مِنَ اللَّهِ فَضْلًا كَبِيرًا } [الأحزاب: ٤٥ – ٤٧]، فوظيفة

---

(١) صحيح مسلم، كتب فضائل الصحابة، باب فضائل أبي موسى وأبي عامر الشعريين رضي الله عنهما، ح ٢٤٩٧.

(٢) القرطبي: الجامع لأحكام القرآن، ٢٢٥/١٠.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

النبي صلى الله عليه وسلم " أن يكون مبشرا لهم بما ينتظر العاملين من رحمة وغفران، ومن فضل وتكريم، وأن يكون نذيرا للغافلين بما ينتظر المسيئين من عذاب ونكال، فلا يؤخذوا على حين غرة، ولا يعذبوا إلا بعد إنذار... ويكرر ويفصل في وظيفة الرسول صلى الله عليه وسلم مسألة تبشير المؤمنين"[1].

ودعوة الناس وسياستهم تتطلب اللين والرفق معهم لأن الانذار يتطلب ذلك، كما يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: " ويظهر لي أن النكتة في الاتيان بلفظ البشارة وهو الأصل، وبلفظ التنفير وهو اللازم، وأتى بالذي بعده على العكس للإشارة إلى أن الإنذار لا ينفى مطلقا بخلاف التنفير، فاكتفى بما يلزم الإنذار وهو التنفير، فكأنه قيل: إذا أنذرتم فليكن بغير تنفير، كقوله تعالى: {فَقُولَا لَهُ قَوْلًا لَيِّنًا لَعَلَّهُ يَتَذَكَّرُ أَوْ يَخْشَى} [طه: ٤٤]"[2].

والناس بطبيعة أحوالهم الدنيوية يملكون ما يكفيهم من الهموم والمصاعب، وما يشغلهم من اليأس والشعور بالإحباط، ومخاطبتهم بما يزيد شعورهم بذلك لا يحفزهم على الاستماع أو الاستجابة، بقدر ما يدفعهم خطاب الأمل والتفاؤل والاستبشار.

من مؤشرات قيمة (التبشير) في الدعوة إلى الله:

مبنى هذه القيمة: أن يكون الداعية مصدرا للفأل الحسن، وفسح الأمل وتوسيعه، والوعد بالعاقبة الحسنة، وأن لا يرى الناس منه ما يكرهونه، ولا يرضى لنفسه أن يكون مظنة تنفير وتخذيل، أو مصدرا للشؤم وقتل للنفوس والهمم، ومن مؤشرات تطبيق قيمة (التبشير) ما يأتي:

١)) تأليف قلوب العباد وإحسان معاملتهم، ومراعاة أحوالهم الإيمانية والنفسية، وتقديم ما يحببهم في الاستجابة كحسن اختيار الموضوع والوقت، ومراعاة الظروف والقدرات والأحوال، يقول الحافظ ابن حجر رحمه الله: " المراد تأليف من قرب إسلامه، وترك التشديد عليه في الابتداء، وكذلك الزجر عن المعاصي، ينبغي أن يكون بتلطف ليقبل، وكذا تعليم العلم ينبغي أن يكون بالتدريج، لأن الشيء إذا كان في ابتدائه سهلا حُبب إلى من يدخل فيه، وتلقاه بانبساط، وكانت عاقبته غالبا الازدياد"[3].

٢)) استعمال قيمة (التبشير) لإيقاظ الهمم وتقوية العزائم والحث على الطاعات، خاصة عند قلة المتمسكين بها، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم لأصحابه -قبل فشو الإسلام- وقد صلى معهم العشاء: ((**على رسلكم، أبشّروا، إن من نعمة الله عليكم أنه ليس أحد من الناس يصلي هذه الساعة غيركم.... قال أبو موسى رضي الله عنه : فرجعنا فرحى بما سمعنا من رسول الله** صلى الله عليه وسلم

---

(١) قطب، سيد: في ظلال القرآن، ٢٨٧٢/٥.

(٢) فتح الباري، ٦١/٨.

(٣) فتح الباري، ١٦٣/١.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

)) [1]، وقوله مبشرا ومبينا فضل المشي إلى الصلاة صلى الله عليه وسلم: ((**بشّر المشائين في الظلم إلى المساجد بالنور التام يوم القيامة**)) [2].

٣)) التخفيف عن الانسان المبتلى بمرض أو خوف أو قلق، بتبشيره بما يخفف عنه قلقه وخوفه ويعيد له الهدوء والطمأنينة، ومن ذلك قوله صلى الله عليه وسلم للمسلمين وهو يشد من عزيمتهم: ((**بشّر هذه الأمة بالسناء والرفعة والدين والنصر والتمكين في الأرض..**)) [3]، ومنه تبشيره للمريض بقوله لأم العلاء رضي الله عنها: ((**أبشّري يا أم العلاء، فإن مرض المسلم يذهب خطاياه، كما تذهب النار خبث الحديد**)) [4].

٤)) مراعاة الطبيعة البشّرية الموجودة عند الناس من حب الخير، وعدم التعنيف عليها أو انتقادها، ومثاله: لما اجتمع الصحابة رضي الله عنهم بعد صلاة الصبح وتعرضوا للنبي صلى الله عليه وسلم وقد سمعوا بقدوم الجزية من البحرين، فابتسم النبي صلى الله عليه وسلم وعلم سبب قدومهم وقال لهم: ((**فابشروا وأمّلوا ما يسركم، فو الله لا الفقر أخشى عليكم،....**)) [5].

٥)) التبشير بالتهنئة بحصول الخير الذي يصيب المدعو والمشاركة الوجدانية وإظهار السرور له، ومن صور التعاطف الاجتماعي والتهنئة بقول التوبة ما جاء في قصة كعب بن مالك **رضي الله عنه** ، لما نزلت توبته بعد غزوة تبوك، حيث تسابق إليه المبشّرون، فسبق إليه صوت أحدهم وهو يقول: (**ياكعب بن مالك، أبشّر، فيقول رضي الله عنه : فخررت ساجدا، وعرفت أن قد جاء الفرج، وتلقاه الناس فوجا فوجا يهنئونه بالتوبة، ويقولون له: (لتهنك توبة الله عليك)، ولما سلم على رسول الله** صلى الله عليه وسلم **قال وهو يبرق وجهه من السرور، وكان إذا سر أستنار وجهه كأنه قطعة قمر: ((أبشّر بخير يوم مر عليك منذ ولدتك أمك**)) [6].

---

(١) صحيح البخاري، كتاب مواقيت الصلاة، باب فضل العشاء، ح ٥٦٧.

(٢) الألباني، محمد ناصر الدين: صحيح سنن ابن ماجة، ح٦٣٣.

(٣) مسند الإمام أحمد بن حنبل ١٣٤/٥، وقد صححه الشيخ الألباني في صحيح الجامع الصغير ح ٢٨٢٥.

(٤) صحيح الجامع الصغير، ح ٣٧.

(٥) صحيح البخاري، كتاب الجزية والموادعة باب الجزية والموادعة مع أهل الذمة والحرب ح ٣١٥٨.

(٦)انظر الحديث في صحيح البخاري، كتاب المغازي، باب حديث كعب بن مالك، ح ٤٤١٨..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦)) إن التبشير لا يعني أن يخدر الداعية مشاعر الناس بالوعود الكاذبة الموهومة، أو أن يزين الواقع بما ليس فيه، وإنما يعني أن يذكر الداعية المشكلة ومعها حلولها، وأن يذكر المأساة ومعها أفكار تدل على سبل الخروج منها، وأن يدل الناس على دورهم الشخصي الذي يمكنهم القيام به في كل ذلك، كما يكون بتبيين ما عند الناس من إيجابيات وما لديهم من سلبيات مع توضيح إمكانية التحسين والتقدم في كل الجوانب[١].

٧)) نداء الإنسان بأحب الأسماء إليه، وبما يتألف به من كنية أو نسبة، وذلك كنداء الله تعالى ليهود والنصارى بـــ{أَهْلِ الْكِتَابِ}، فهذا النداء يشعرهم بالتشريف حيث أضافهم لكتابهم المنزل، فهو تمييز لهم عن أهل الأوثان وغيرهم وتذكير لهم بما بينهم من أمور مشتركة، لأنهم أهل دين سماوي ويجمعهم مع المسلمين اعتقادهم بوجود الله وربوبيته، وإيمانهم باليوم الآخر وما فيه من الحساب والجزاء، والإيمان بالرسل عليهم الصلاة والسلام والملائكة وغيره، فكانوا أولى من غيرهم باتباع الدين الحق.[٢]

٨)) مبادرة الناس بما يجذبهم للخير ويدفعهم للتفاؤل، فإذا اجتمع لدى الداعية أخبار سارة وأمور مبشّرة، وأخبار أخرى مؤلمة أو أمور منفرة فبأيهما يبدأ؟ الجواب: يبدأ بالأمور المبشّرة، ذلك أن "الأخبار السارة تؤسس لدى الناس روحا إيجابية جيدة، وتزرع فيهم الأمل، وحين يسمعون أخبارا مزعجة فإنهم ينظرون إليها على أنها شيء عارض في سياق ثابت، وهو التحسن والنجاح، كما أن الأخبار السارة تقرب الجماهير من المتحدث، وتجعل درجة تفاعلهم معه أفضل، مما يحسن درجة وعيهم بما يلقى إليهم من أخبار مزعجة"[٣].

٩)) من المجالات المهمة التي تظهر فيها قيمة (التبشير)،: التبشير بالمكاسب والمنافع الدنيوية، وقد وعد الله تعالى الذين آمنوا وكانوا يتقون بأن: {لَهُمُ الْبُشْرَى فِي الْحَيَاةِ الدُّنْيَا وَفِي الْآخِرَةِ } [يونس: ٦٤]، ومن البشّرى العاجلة في الدنيا أن يلقى المسلم قبولا حسنا من إخوانه وأن يشكر ويثنى عليه على إحسانه، فذلك من التبشير،[٤] وقد جاء في الحديث عند الإمام مسلم رحمه الله: (**قيل لرسول الله** صلى

---

(١) بتصرف، بكار، عبد الكريم: المتحدث الجيد ص ٧٤.

(٢) انظر: اللحيدان، د عبد الله:دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، ص ٤٨.

(٣) بكار، عبد الكريم: المتحدث الجيد ص ١٠٣.

(٤) بتصرف، الخزندار، محمود محمد: هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، ص ١١٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

صلى الله عليه وسلم **أرأيت الرجل يعمل العمل من الخير ويحمده الناس عليه؟ قال: ((تلك عاجل بشّرى المؤمن))** [1].

١٠)) التبشير بالثواب والأجر لمن عمل الخيرات حتى لو قلّ العمل ما دام مخلصا لله، وهذا فيه استنهاض لهمم المسلمين، ومن ذلك تبشيره برفقته يوم القيامة لمن أخلص في محبته لله ولرسوله صلى الله عليه وسلم، فقد روى الإمام مسلم رحمه الله أن رجلا جاء للمسجد فقال: (**يا رسول الله، متى الساعة؟ قال رسول الله** صلى الله عليه وسلم: ((**ما أعددت لها؟**)) **فكأن الرجل استكان. ثم قال: يا رسول الله، ما أعددت لها كبير صلاة ولا صيام ولا صدقة، ولكني أحب الله ورسوله. قال: ((فأنت مع من أحببت))** و لم يقف فرح هذه البشارة عند حدود السائل، بل سرت إلى جميع الصحابة، فيقول أنس **رضي الله عنه** : ((**فما فرحنا بعد الإسلام فرحا أشد من قول النبي** صلى الله عليه وسلم ((**فأنت مع من أحببت))، قال أنس رضي الله عنه : فأنا أحب الله ورسوله، وأبا بكر وعمر، وأرجو أن أكون معهم، وإن لم أعمل بأعمالهم))**. [2]

ومنه قوله صلى الله عليه وسلم:((**إن الدين يسر، ولن يشاد الدين أحد إلا غلبه، فسددوا وقاربوا، وأبشّروا**)) [3]، قال الحافظ ابن حجر رحمه الله: "وأبشروا: أي بالثواب على العمل الدائم– وإن قلّ– والمراد تبشير من عجز عن العمل بالأكمل، بأن العجز إذا لم يكن من صنيعه؛ لا يستلزم نقص أجره، وأفهم المبشّر به تعظيما له وتفخيما" [4].

١١)) من مؤشرات قيمة (التبشير) في الدعوة: تخفيف وقع المصائب والأقدار المؤلمة، بالتذكير بسنة الله في ابتلاء عباده المؤمنين، وتقوية لإيمانهم بالله وإحسان الظن به تعالى، وذلك لحاجة الناس إلى تصحيح تصوراتهم وتفاعلهم في قضايا أقدار الله مثل السعادة والشقاء، والنجاح والإخفاق، حيث إن نصف ما يحقق ذلك يعود إلى معطيات ملموسة ومشاهدة، والنصف الآخر على الأقل يعود إلى نظرتهم للأشياء وطريقة تحديدهم لعلاقتهم بها، والمتأمل لقوله صلى الله عليه وسلم:((**عجبا لأمر المؤمن، إن أمره كله خير، وليس ذاك لأحد إلا للمؤمن، إن أصابته سراء شكر فكان خيرا له، وإن أصابته ضراء صبر فكان خيرا**

---

(١) كتاب البر والصلة والآداب، باب إذا أثني على الصالح فهي بشّرى ولا تضره، ح ٢٦٤٢.

(٢) كتاب البر والصلة والآداب، باب المرء مع من أحب، ح ٢٦٣٩.

(٣) صحيح البخاري، سبق تخريجه.

(٤) فتح الباري ١/٩٥.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

له))[1]، يجد أن التوجيه النبوي ينصب على تفاعل المؤمن مع ما يصيبه من خير أو شر، لا على الخير والشر ذاته، وهناك مفاهيم وقيم مهمة حول السعادة والقناعة والرضا والتميز؛ إذا قدمت بطريقة مناسبة يسيرة مبشّرة فإنها تساعد المسلم على تقوية إيمانه وتصحيح علاقته بالله تعالى وبمن حوله[2].

تطبيقات مخالفة لقيمة (التبشير) في الدعوة إلى الله:

١)) من المفاهيم التي تحتاج إلى تصحيح: إن الترهيب يعتبر من التنفير، والحقيقة أنه أسلوب قرآني "له تأثيره ووقعه في نفوس كثير من البشّر، فالإنسان جبل على حب الخير والسلامة، والرغبة في الظفر بكل محبوب، كما طبع عل كراهية الشر والأذى، وما يصيبه من بلاء في نفسه أو ماله أو أهله"[3]، وتخويف المدعوين من عواقب بعض الأعمال جزء مهم من الخطاب الدعوي، فقد استخدمه الأنبياء عليهم الصلاة والسلام واستخدمه الدعاة من بعدهم لحث الناس على الإيمان والابتعاد عن المعاصي، وهذا نابع من المعرفة بالطبيعة البشّرية، فالناس يبغضون الخسارة ويخافون من فقد الأشياء، لذا فإن تحفيزهم بالتخويف من خسارة شيء أحيانا يكون أجدى من وعدهم بالمكافأة بشيء مساو له في القيمة، والحقيقة أن الترهيب وكذلك الترغيب يستمدان أهميتهما من كونهما يساعدان على تنمية الوازع الداخلي لدى المخاطبين، وقد اهتم القرآن بمسألة التخويف من الله تعالى وعقابه وجعل لمن تتحقق في قلبه خشية الله أجرا عظيما، قال تعالى: {وَلِمَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ جَنَّتَانِ} [الرحمن: ٤٦]، كما قال تعالى في تبيين أثر الخوف من الله على قلب المؤمن ونفسه: {وَأَمَّا مَنْ خَافَ مَقَامَ رَبِّهِ وَنَهَى النَّفْسَ عَنِ الْهَوَى (٤٠) فَإِنَّ الْجَنَّةَ هِيَ الْمَأْوَى } [النازعات: ٤٠، ٤١]

٢)) من التنفير في الدعوة إلى الله: مجانبة الوسطية والتشديد، ومن ذلك أن يكون الداعية شديدا في دين الله، يريد من عباد الله أن يطبقوا الدين بحذافيره، ولا يتسامح معهم في شيء يسمح به الدين، بل إنه إذا رأى من الناس تقصيرا –حتى في الأمور المستحبة– تأثر تأثرا عظيما، وذهب يدعو هؤلاء المقصرين دعاء الغليظ الجافي، وكأنهم تركوا شيئا من الواجبات[4]، كمن ينكر بشدة على من لا يجلس جلسة الاستراحة في الصلاة بعد الركعة الثانية، ويرى أنها واجبة رغم اختلاف الأقوال في حكمها، وكمن يبدع من وضع يده اليمنى على اليسرى في الصلاة بعد الركوع، رغم أنها مسألة اجتهادية، ومن ينكر

---

(١) صحيح مسلم، كتاب الزهد والرقائق، باب المؤمن أمره كله خير، ح ٢٩٩٩.

(٢) بتصرف، بكار، عبد الكريم: المتحدث الجيد ص ١٥٨– ١٥٩.

(٣) الديلمي، د عبد الوهاب لطف: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، ص ٤٩٤، دار المجتمع، جدة، ط:١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦م..

(٤) انظر، العثيمين، محمد صالح: الاعتدال في الدعوة، ص ٣، إعداد: فهد ناصر السليمان، نسخة إلكترونية.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

إنكارا عظيما على من يتحرك أدنى حركة في الصلاة، حتى لو كانت حركة مباحة، وقد ورد في السنة النبوية حركات مثلها وأكثر، فكل هذا مما ينفر الناس من الدين[1].

٣)) هناك من يبالغ في التقرب لله ويوغل في المشقة الزائدة عن المعتاد، فتحدث له ولمن حوله نفورا وضجرا ومللا، كمن يبالغ في العبادات، أو يتعبد ببدعة، ومن ذلك ما رواه الإمام البخاري رحمه الله: " **بينا النبي** صلى الله عليه وسلم **يخطب إذا هو برجل قائم، فسأل عنه، فقالوا: أبو إسرائيل نذر أن يقوم ولا يقعد، ولا يستظل ولا يتكلم، ويصوم. فقال النبي** صلى الله عليه وسلم: ((**مروه فليتكلم، وليستظل، وليقعد، وليتم صومه**))[2].

٤)) ومن أوجه التنفير: الخطاب الدعوي المتسم باليأس وإشعار الناس بأن الأمة مكبلة بالأزمات وأنها في نفق مظلم لا تستطيع الخروج منه إلا بمعجزة، وهذا يشعر الناس بأنهم غير قادرين على إنجاز أي تقدم على صعيدهم الشخصي أو على الصعيد العام، وعلى افتراض صحة هذا الرأي فإن هذا لا يعفي جمهور المسلمين من المساهمة بما يقدرون عليه من إصلاح أنفسهم ومن يعولون والارتقاء بقدراتهم والقيام بمسؤولياتهم الخاصة بهم[3].

٥)) التشديد على الناس في أمور العبادات، كالغلو في بعض العبادات أو الوسوسة فيها، وكمن يشدد على نفسه بالنذر، أو يكلف الناس ما لا يطيقونه، كما " نهى صلى الله عليه وسلم عن التشديد في الدين، وذلك بالزيادة على المشروع، وأخبر أن تشديد العبد على نفسه هو السبب لتشديد الله عليه، إما بالقدر، وإما بالشرع، فالتشديد بالشرع: ان يشدد على نفسه بالنذر الثقيل، فيلزمه الوفاء به، وبالقدر كفعل أهل الوسواس، فإنهم شددوا على أنفسهم فشدد عليهم القدر، حتى استحكم ذلك وصار صفة لازمة لهم"[4].

٦)) مما ينفر المدعوين إغفال ترتيب الأولويات، فترى الداعية يقدم لحديث العهد بالإسلام من الأحكام الشرعية ما يثقل عليه، وقد يمنعه من الدخول في الاسلام ابتداء، كمن يتحدث عن وجوب الختان للرجال، أو البدء بذكر تحريم الأمور التي تصادم ما ألفه طوال حياته قبل إسلامه، والأولى الاتجاه إلى ما يقوي إيمان هذا المسلم، وذكر الأركان الأساسية في الدين.

---

(١) انظر: العثيمين، محمد صالح: الاعتدال في الدعوة، من ص ٤-٥.

(٢) كتاب الإيمان والنذور، باب النذر فيما لا يملك، وفي معصية، ح ٦٧٠٤.

(٣) بتصرف، بكار، د. عبد الكريم: المتحدث الجيد، ص ١٥٧.

(٤) ابن القيم: إغاثة اللهفان، ١/١٣٢..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٧)) قد يحمل بعض الدعاة أنفسهم على العزيمة، وقد يتشدد في بعض الأمور ثم يلزم الآخرين بما ألزم نفسه به، ويطالبهم بالسير على طريقته، مع عدم مراعاته لظروفهم وأحوالهم، وقد جاء رجل للنبي صلى الله عليه وسلم، فقال: (**والله يا رسول الله إني لأتأخر عن صلاة الغداة من أجل فلان مما يطيل بنا، فما رأيت رسول الله** صلى الله عليه وسلم **في موعظة أشد غضبا منه يومئذ، ثم قال**: ((**إن منكم منفرين، فأيكم صلى بالناس فليخفف، فإن فيهم الضعيف والكبير وذا الحاجة**))[(١)].

المطلب الرابع: القيمة الدعوية في قوله: ((تطاوعا ولا تختلفا)).

القيمة الدعوية في هذا النص هي: (التطاوع)، وهي مشتقة من طاع له يطوع طوعا أطاع فهو طائع، وطاع وأنطاع: لان وانقاد، والطوع: الانقياد، ويضاده الكره،[(٢)] وقد قال تعالى: {قُلْ أَنْفِقُوا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا} [التوبة: ٥٣].

ويضاده كما ذكر النبي صلى الله عليه وسلم الاختلاف، وهو المخالفة والمضادة[(٣)]، والاختلاف والمخالفة: أن يأخذ كل واحد طريقا غير طريق الآخر، في حاله أو قوله، والخلاف أعم من الضد، لأن كل ضدين يختلفان، وليس كل مختلفين ضدين، ولما كان الاختلاف بين الناس في القول قد يفضي إلى التنازع؛ استعير ذلك للمنازعة والمجادلة[(٤)].

هذه القيمة النبوية السامية تضبط علاقة الداعية مع غيره من الدعاة، وتصفها بالموافقة واللين والانقياد، وهذا ينعكس إيجابا على تعامل الداعية مع المدعوين، بل على سير العملية الدعوية كلها لأهمية التوافق والمطاوعة وعظم الحاجة إليها، يقول الإمام النووي، وفي الحديث" أمر الولاة بالرفق، واتفاق المتشاركين في ولاية ونحوها، وهذا من المهمات، فإن غالب المصالح لا يتم إلا بالاتفاق، ومتى حصل الاختلاف؛ فات"[(٥)].

قيمة (التطاوع) في القرآن الكريم والسنة النبوية:

جاء في القرآن الكريم آيات عديدة تأمر بالاتفاق وتنهى عن الافتراق والتنازع بمصطلحات عديدة مرادفة للاختلاف، كقوله تعالى: {وَاعْتَصِمُوا بِحَبْلِ اللَّهِ جَمِيعًا وَلَا تَفَرَّقُوا} [آل عمران: ١٠٣]، {وَلَا تَنَازَعُوا فَتَفْشَلُوا وَتَذْهَبَ رِيحُكُمْ} [الأنفال: ٤٦]

---

(١) صحيح البخاري، كتاب الأذان، باب تخفيف الإمام في القيام وإتمام الركوع والسجود، ح ٧٠٢.

(٢) انظر، الزبيدي: تاج العروس، فصل الطاء من باب العين، ٤٤٤/٥.

(٣) انظر، الزبيدي: تاج العروس، فصل الخاء من باب الفاء، ٩٧/٦.

(٤) انظر، الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، ص ١٥٦. أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة بيروت، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ط: بدون.

(٥) النووي، شرح صحيح مسلم، ٤١/١٢..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

{وَلَا تَكُونُوا كَالَّذِينَ تَفَرَّقُوا وَاخْتَلَفُوا مِنْ بَعْدِ مَا جَاءَهُمُ الْبَيِّنَاتُ} [آل عمران: ١٠٥]، {إِنَّ الَّذِينَ فَرَّقُوا دِينَهُمْ وَكَانُوا شِيَعًا لَسْتَ مِنْهُمْ فِي شَيْءٍ} [الأنعام: ١٥٩]، و"الله تعالى قد نهانا عن التفرق، وبين لنا عواقبه الوخيمة، والواجب علينا أن نكون أمة واحدة، كلمة واحدة، وإن اختلفت آراؤنا في بعض المسائل، أو في بعض الوسائل، فالتفرق فساد وشتات للأمر، وموجب للضعف، والصحابة رضي الله عنهم حصل بينهم اختلاف ولكن لم يحصل بينهم التفرق ولا العداوة والبغضاء"[(١)].

والتطاوع قيمة يحتاجها المسلم في جميع أحواله، فقد وصف سيد البشر بهذه الصفة حتى في علاقته مع زوجاته أمهات المؤمنين رضي الله عنهن، فقد ثبت عن عائشة رضي الله عنها أنها لما خرجت في حجة الوداع حاضت فلم تطف بالبيت، ووجدت في نفسها أن الناس يرجعون بحج وعمرة وأنها ترجع بحجة فقط، وأنها لم تطف بالبيت إلا بعد أن حجت، فأمر النبي صلى الله عليه وسلم أخاها عبد الرحمن أن يذهب بها إلى التنعيم فتهل بعمرة، وما أجمل وصف الصحابي الكريم للنبي صلى الله عليه وسلم في هذا الموقف الكريم: ((**وكان رسول الله** صلى الله عليه وسلم **رجلا سهلا إذا هويت الشيء تابعها عليه**))[(٢)].

أهمية قيمة (التطاوع) في الدعوة إلى الله:

قيمة (التطاوع) في الدعوة تعني: القبول والتسامح مع رأي الدعاة الآخرين، وقبول الاختلاف إذا كان "من قبيل التنوع، كأن يتخصص كل فريق أو جماعة في عمل، فهو اختلاف صوري، وهو مطلوب، أما إذا كان الاختلاف اختلاف تحزب وتعصب، يمنع التعاون والتعاضد وسماع النصيحة من الآخر؛ فهو اختلاف مذموم، وكثير منه يقع في مسائل اجتهادية أو فرعية المخالف فيها معذور، ومثل هذا الاختلاف لا ينبغي أن يخرج بالناس إلى مساحة احتراب وتناحر، بل لأصحابه في صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم أسوة حسنة، فمع مخالفة بعضهم لبعض؛ بقي لإقرارهم بفضل ذوي الفضل، وتوقيرهم، مع عمل كل برأيه وسعيه لنشره"[(٣)].

وهنا يأتي هذا السؤال: هل يمكن أن تؤدي القيم الدعوية إلى تقليل مساحة الاختلاف بين الدعاة؟ وهل يمكن أن تكون هي نفسها سببا للخلاف؟؟

---

(١) عثيمين، الشيخ محمد صالح: الاعتدال في الدعوة ص ١١.

(٢) صحيح مسلم، كتاب الحج، باب بيان وجوه الإحرام وأنه يجوز إفراد الحج والعمرة والقران ح ١٢١٣.

(٣) العمر، د. ناصر سليمان: الاختلاف في العمل الإسلامي ص ٢٤، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الجواب: الأصل أن وضوح القيم بأنواعها واتخاذها معيارا للصحيح وغير الصحيح مما يؤدي إلى التوافق والوحدة، أما أنها قد تكون سببا لوقوع الخلاف؛ فإن هذا عائد لاختلاف مرجعيتها، لا نوعها، ولارتباطها بثقافة الداعية السابقة وببيئته.

وبعبارة أخرى " إن وزن القيمة وأهميتها يختلفان من فرد لآخر، وفي ضوء ذلك تمثل القيم المهمة وزنا نسبيا أكبر في نسق القيم، وتمثل القيم الأقل أهمية وزنا نسبيا أقل في هذا النسق، بمعنى: يختلف ترتيب القيم حسب أهميتها من فرد إلى آخر، ومن مرحلة عمرية إلى أخرى"[1]، ومن المستحيل أن يجد الإنسان من يطابقه في ميوله وأفكاره وقيمه، فالناس يتقاربون ويتجاذبون بقدر ما يوجد بينهم من توافق أو اختلاف، لا بموافقتهم لبعضهم بشكل تام، " وكم يكون ظالما ذاك الذي يضع في فكره صورة مثالية رضيها لنفسه، وسعى لتمثلها، ثم يصر على الناس ليحملوا أنفسهم على العمل بالعزيمة، وإلا فلا خير فيهم بنظره، لأنهم لم ينساقوا وراء التصور الذي يعتقده، و لم يستجيبوا للسلوك الذي اختاره"[2].

كما يرد هنا سؤال آخر: ما الذي يوقع الخلاف بين الدعاة؟ يتضح الجواب كالآتي: حيث إن القيم الأخلاقية لها تأثير كبير على سلوك الناس وأساليبهم في مواقفهم وأعمالهم الحياتية، ومن ضمنها الدعوة إلى الله؛ فإن مجالات الاختلاف بين الدعاة فيها يؤدي إلى اختلافهم في ترتيب أولوياتهم الدعوية، وفي أساليبهم ووسائلهم، وفي طريقة تعاملهم، وهذا قد يكون مصدرا أكثر احتمالا للخلاف، حيث إن الناس قد يتسامحون مع غيرهم في اختلاف الآراء، لكنهم يجدون صعوبة في التسامح والتطاوع مع أساليب التعامل التي لا يرضون عنها، أو السلوكيات التي ينفرون منها.

وفي حالة قيام الداعية بالدعوة بشكل فردي فإن تمسكه برأيه وترتيبه لقيمه لا يسبب له خلافا في حد ذاته؛ بل قد يكسبه تميزا ما دام موافقا للهدي الإسلامي وللمقصد الشرعي، أما عند التشارك والعمل الجماعي؛ فإن تكرار حدوث الاحتكاك يبرز الاختلافات الطبيعية، فتنشأ الخلافات، خاصة عندما يشيع التصلب وتفقد المرونة والسماحة، فتنشأ الخلافات، حيث يرى الداعية معارضة غيره لأسلوبه ومنهجه في الدعوة، وتشبثه برأيه ورغبته في فرضه على الآخرين؛ حينها قد يشعر بالتهديد من قبل الآخرين له في ذاته وفي قيمه الثابتة فيحدث الخلاف، لذلك كانت هذه الوصية ((تطاوعا ولا تختلفا)).

---

(١) عقل، د.محمود عطا: القيم السلوكية ص ٣٧.

(٢) الخزندار، محمود محمد: فقه الائتلاف، قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف، ص ٢٣،دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

كما أن من أسباب الخلاف بين الدعاة: اختلاف مفهوم القيمة ومحتواها عند الداعية، فقد لا يتفق الداعيان في تفسير قيمة العدل مع غير المسلمين، وحدود الإسلام في التسامح معهم، وذلك بسبب اختلاف مستوى الفهم للآيات التي تحدثت عن مفهوم الولاء والبراء والبر والمودة، وهذا يشير إلى أن حدوث الخلاف بين الدعاة حول بعض ممارسات الدعوة؛ ناتج عن جذور ثقافية ورواسب فكرية سابقة، ولا يمكن تجاوز مثل هذه الاختلافات إلا حينما يتمسك الدعاة بالقيمة الدعوية (التطاوع) كبعد قيمي دعوي إنساني يتضمن التسامح مع اختلافات الدعاة الآخرين.

إن الوصية النبوية بالتطاوع تتضمن الإقرار بوجود الاختلاف بين البشّر، وهذا أمر فطر عليه الناس، ولكن جاء التوجيه بالأمر بعدم الاستسلام لهذا الاختلاف أو الاسترسال لدواعيه، وإنما بمدافعته بإيثار الطرف الاخر ومطاوعته والانقياد لرأيه ما دام موافقا للدين، ومادام يبعد عن التنازع.

من مؤشرات قيمة (التطاوع) في الدعوة إلى الله:

١)) تحقيق قيمة الإيثار: فالإيثار قيمة سامية " عاشها المسلمون بكل تكاليفها والتزاماتها، تعني ضمن ما تعنيه: أن يحب لأخيه أكثر مما يحبه لنفسه، وأن يجود بما يملك مع حاجته إليه، فإيثار الآخرين على النفس، مع حاجتها إلى ما يبذله صاحبها دون أن يكون ذلك نفاقا أو مراء أو منفعة شخصية"[(١)] تمثل قيمة عليا أمرت بها الوصية النبوية في مجال الدعوة بتقديم رأي الرفيق في الدعوة لما يترتب عليه من المصالح المحمودة.

٢)) مقابلة الإساءة بالإحسان، اتباعا لأمر الله تعالى: { وَلَا تَسْتَوِي الْحَسَنَةُ وَلَا السَّيِّئَةُ ادْفَعْ بِالَّتِي هِيَ أَحْسَنُ فَإِذَا الَّذِي بَيْنَكَ وَبَيْنَهُ عَدَاوَةٌ كَأَنَّهُ وَلِيٌّ حَمِيمٌ} [فصلت: ٣٤]، فقد يجد الداعية من غيره إعراضا أو سوء أدب، وهو يتقدم بالحسنة وغيره يتقدم بالسيئة، فالداعية المتحلي بقيمة التطاوع لا يرد بالسيئة، لأن أثر الحسنة وقيمتها لا تتساوى مع السيئة والصبر والتسامح، والاستعلاء على رغبة مقابلة الشر بالشر، يرد النفوس الجامحة إلى الهدوء والثقة، فتقلب من الخصومة إلى الولاء، ومن الجماح إلى اللين، وهذه القاعدة تصدق في الغالبية الغالبة من الحالات، وينقلب الانفعال إلى وداعة، والغضب إلى سكينة، والاختلاف إلى توافق[(٢)].

---

(١) عقل، محمود عطا: القيم السلوكية ص ٨٨.

(٢) انظر، قطب، سيد: في ظلال القرآن، ٣١٢١/٥،

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣)) العمل على تضييق أي خلاف وإزالة أسبابه ما أمكن ذلك، ومن وسائل ذلك: استحضار وتذكر أن مقاصد الدعاة ونياتهم وأصولهم وغاياتهم واحدة، فإن مما يضيق من الفجوة والتباين والتحزب بين الدعاة تذكرهم أنهم يسعون لرضا الله.

ومن سبل تضييق الخلاف: الخروج منه احتياطا للدين، وذلك حين تكون الأقوال في المسالة الواحدة تتراوح بين حكمين أحدهما حظر والآخر إباحة، فيكون تركه أولى – ولو رأى أحدهما الإباحة- مراعاة للخلاف في الحظر واحتياطا للدين، وهذا له عند الفقهاء ضوابط وحدود، ومنها: النظر في نوع الخلاف، هل هو اختلاف تنوع وتكامل فلا يعترض فيه ولا ينكر على الطرف الآخر، أو أنه اختلاف تضاد سائغ من باب الاجتهادات في مسألة واحدة يحتملها النص الشرعي، أم أنه اختلاف تضاد غير سائغ، وقد قُطع فيه بوجه الحق كإنكار لمعلوم من الدين بالضرورة، أو لمخالفة الإجماع أو مخالفة النص القطعي الظاهر الدلالة، فإن هذا النوع لا بد فيه من تبيين الخطأ وإزالة الشبهة[(١)].

٤)) كيف يتم التطاوع: يتم بمراعاة الآخرين، وتفهم وجهات نظرهم، والنظر في الموضوع بشمولية واتساع، فإذا حدث اختلاف في الرأي حول بعض القيم، مثلا: قد يرى البعض أن تحقيق الذات قيمة مهمة وذات أولوية، بينما يرى البعض الآخر تقديم قيمة إيثار الغير ذات أهمية أكبر، كما أن البعض يميل إلى جانب النهي عن المنكرات، بينما يميل غيره إلى جانب الأمر بالمعروف بشكل أكثر، ففي هذه الحالة، لا ينبغي الاقتصار في تفسير هذا الخلاف والتعامل معه ضمن حدود المفاهيم الشرعية الدينية فقط، فالخلاف يرجع في حقيقته إلى جذور أخرى أوسع وأعمق أثرا سببتها الصفات الشخصية والتنشئة الاجتماعية والمتغيرات المعاصرة وغير ذلك، وهذا يتفق مع شمولية الدعوة الإسلامية.

٥)) الحرص على استيعاب الشريك المخالف واستمالته بضبط الأعصاب والتروي معه، والهدوء والاحترام أثناء التحاور، والبعد عن ضيق الأفق واتهامه بالخطأ، مع تبرئة النفس دائما، وقد وجه الله تعالى لذلك في خطاب المشركين بقوله تعالى: {وَإِنَّا أَوْ إِيَّاكُمْ لَعَلَى هُدًى أَوْ فِي ضَلَالٍ مُبِينٍ} [سبأ: ٢٤]، بل أمر بالتنزل في الخطاب لكسب الطرف الآخر وإقناعه كما قال تعالى: {قُلْ لَا تُسْأَلُونَ عَمَّا أَجْرَمْنَا وَلَا نُسْأَلُ عَمَّا تَعْمَلُونَ } [سبأ: ٢٥]، ويظهر الإنصاف وزيادة حين يقول: "كل منا ومنكم له عمله، أنتم لا تُسالون عن إجرامنا وذنوبنا –لو أذنبنا- ونحن لا نُسأل عن أعمالكم"(٢).

---

(١) انظر بالتفصيل، الخزندار، محمود محمد: فقه الائتلاف، من ص ٢٧-٣٧.

(٢) السعدي، عبد الرحمن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، ص ٦٢٦.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٦)) تجنب مواضع الخلاف في الأقوال والعبادات، خاصة إذا كان ذكرها أو فعلها مما يثير الرفض أو المعارضة، أو يترتب عليها من المفاسد ما يعظم عن المصالح المرجوة، ومثاله: ترك بعض المندوبات بين من يثيرهم فعلها، ويحكي الإمام ابن العربي عن نفسه أنه كان يتجنب قراءة سورة الانشقاق إذا أم الناس، لأن الناس ينكرون وجود سجدة التلاوة فيه، يقول: " لما أممت الناس تركت قراءتها، لأني إن سجدت أنكروه، وإن تركتها كان تقصيرا مني، فاجتنبتها إلا إذا صليت وحدي"، وهذا من فقهه رحمه الله وتجنبه مواطن الخلاف.

٧)) مما يساعد على تطبيق هذه القيمة الدعوية المهمة بشكل صحيح، ويجنب الدعاة الخطأ: فقه النصوص الواردة في المسألة وفقه الواقع الذي تتنزل عليه النصوص، يقول الإمام ابن القيم رحمه الله: "ولا يتمكن المفتي ولا الحاكم من الفتوى والحكم بالحق إلا بنوعين من الفهم، أحدهما: فهم الواقع والفقه فيه، واستنباط علم حقيقة ما وقع بالقرائن والأمارات والعلامات، حتى يحيط به علما، والنوع الثاني: فهم الواجب في الواقع، وهو فهم حكم الله الذي حكم به في كتابه أو على لسان رسوله صلى الله عليه وسلم في هذا الواقع، ثم يطبق أحدهما على الآخر، فمن بذل جهده واستفرغ وسعه في ذلك، لم يعدم أجرين أو أجرا، فالعالم من يتوصل بمعرفة الواقع والتفقه فيه إلى معرفة حكم الله ورسوله صلى الله عليه وسلم "[1].

تطبيقات مخالفة لقيمة (التطاوع) في الدعوة إلى الله:

١)) اتباع الداعية لهواه، لا لدليل شرعي أو نظر سليم، إنما تعصب للذات واعتداد بالرأي، ومن أكثر ما يوقع الخلاف والفرقة ويؤدي إلى ظلم الغير: اتباع الشهوات أو الشبهات، فما يتنازع الناس ويتفرقون إلا "حين تتعدد جهات القيادة والتوجيه، وإلا حين يكون الهوى المطاع هو الذي يوجه الآراء والأفكار، فإذا استسلم الناس لله ورسوله صلى الله عليه وسلم انتفى السبب الأول الرئيس للتراع بينهم_ مهما اختلفت وجهات النظر في المسألة المعروضة- فليس الذي يثير التراع هو اختلاف وجهات النظر؛ وإنما هو الهوى الذي يجعل كل صاحب وجهة يصر عليها مهما تبين له وجه الحق فيها، وإنما هو وضع الذات في كفة والحق في كفة، وترجيح الذات على الحق ابتداء"[2]، ومن هنا جاء الأمر بالتطاوع الذي يعني: تجنب المعارضة والموافقة والانقياد برفق ولين ما أمكن ذلك تحقيقا لمصلحة الدعوة.

---

(١) ابن القيم: أعلام الموقعين، ١/١٢٨.

(٢) العمر، د. ناصر سليمان: الاختلاف في العمل الإسلامي، ص ٤٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢)) قد يسكت البعض عن الدعوة إلى الله والاحتساب بدعوى توحيد الصف وعدم إيقاع الفرقة بين المسلمين، ويدعو إلى الاتفاق والوحدة حتى لو تعارضت مع بعض أصول الشريعة الإسلامية، ويرى أن "الأمة الإسلامية التي تنتسب للإسلام، وتتجه في صلاتها إلى القبلة، يجب أن تكون طائفة واحدة غير متميزة، لا يفرق بين مبتدع وصاحب سنة، وهذا لا شك خطأ كبير، لأن الحق يجب أن يتميز عن الباطل، ويجب أن يميز أصحاب الحق عن أصحاب الباطل حتى يتبين، أما لو اندمج الناس جميعا، وقالوا: نعيش كلنا في ظل الإسلام، وبعضهم على بدعة قد تخرجه من الإسلام، فهذا لا يرضى به أحد ناصح لله، ولكتابه، ولرسوله صلى الله عليه وسلم، ولأئمة المسلمين، وعامتهم"[١].

٣)) من التطبيقات والسلوكيات الخاطئة التي تعارض قيمة (التطاوع) وتجذر للاختلاف: تكبر الداعية وغروره وإعجابه بنفسه وبرأيه إعجابا يصل إلى حد احتقار واستصغار الآخرين، واستخفافه بأقوالهم وآرائهم ولو كانت صوابا، وإساءة الظن بهم وجرحهم والطعن في نياتهم ومقاصدهم، وتتبع عثراتهم، ومن أشد ثمار هذا الغرور والعجب: التعصب سواء أكان للذات أم للمذهب أم للحزب، فالتعصب إذا طغى على القلب والعقل؛ حال بينه وبين الحق، واختلت القيم والمفاهيم لدى صاحبه، ومهما عرض عليه من الحجج والبراهين فلن يراها، وسيكون أبعد الناس عن قيمة (التطاوع).

٤)) مما يعيق الداعية عن تطبيق هذه القيمة الدعوية: عزلته عن الناس، والبعد عن الاختلاط بهم، وقد يكون جفوة لهم، أو عجزا عن الصبر على أذاهم، أو خوفا من الفتنة في دينه، أو خوفا من عدم قدرته على ضبط نفسه عن إيذاء الناس بلسانه أو بيده، أو بغير ذلك، وقد يغفل الداعية هنا عن ضرورة الاهتمام بالجماعة وشعور الداعية بأنه جزء من جماعته التي ينتمي إليها، فهو يحبها ويلزمها، ويكره الانفراد والانعزال عنها، ولدى إمعان النظر في كثير من القيم الأخلاقية الجماعية نلاحظ أنها ترجع إلى ما لدى الفرد من جماعية، فما من فضيلة يتعدى نفعها وخيرها للآخرين؛ إلا وفيها عنصر التخلي عن الأنانية، والانعزال والميل إلى التطاوع والاندماج مع الآخرين، أما الأنانية والعزلة فإنها لا تعطي شيئا للآخرين ولا ينبع عنها أي فضائل اجتماعية[٢]

---

(١) عثيمين، الشيخ محمد صالح: الاعتدال في الدعوة، ص ٧.

(٢) الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، ١٦٩/٢-١٧٠، وص ٢٢٧، دار القلم، دمشق، ط:٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

الخاتمة

الحمد لله الكريم الذي بنعمته تتم الصالحات، والصلاة والسلام على صفوة البشر وإمام الدعاة..

بعد هذا العرض للقيم الدعوية في وصية النبي صلى الله عليه وسلم للصحابيين الكريمين رضي الله عنهما تخلص الباحثة إلى النتائج الآتية:

أولا: القيم الدعوية هي:(مجموعة المبادئ والقواعد والمثل التي جاء بها القرآن الكريم والسنة النبوية، والتي يعتقد بها الداعية ويتحدد سلوكه في ضوئها، وتكون مرجع حكمه في كل ما يصدر عنه من أقوال وأفعال وتصرفات، ويحقق بها رسالته كداعية مسلم)، ولها أهمية كبيرة حيث إنها تقي الداعية من الانزلاق في الممارسات الخاطئة، وتساعده على التكيف مع متغيرات الحياة، إضافة إلى تقييم سلوك الداعية وإرشاده وتوجيهه لاختيار الخيار الأفضل في المواقف الدعوية المتنوعة.

ثانيا: ضرورة استيعاب الداعية لبناء القيم الإسلامية الدعوية التي تتسع لتشمل كل ما يواجه الداعية من مؤثرات ومتغيرات متجددة.

ثالثا: جمع نبينا عليه الصلاة والسلام في الوصية النبوية بين القيم الثلاث وبين أضدادها، فهو يوصي الدعاة بلزوم التيسير والتبشير والتطاوع وينهاهم عن ضدها، لأهمية الالتزام بها في جميع الأحوال.

رابعا: قيمة (التيسير) تعني: قابلية الداعية للأخذ بالأيسر، وترك التشديد على نفسه أو على غيره في أمور الدين بالزيادة عن المشروع، ومن مؤشراتها: التخفيف عن الناس في العبادات الشرعية ومراعاة أحوالهم وظروفهم لئلا يوقعهم في المشقة، والمرونة في تطبيق بعض أحكام الشريعة بمراعاة أحوال الزمان والمكان والأحوال عند الإفتاء، والاعتدال في ذكر النماذج المضيئة والقدوات عبر التاريخ، والتدرج مع المدعوين، ومراعاة أعراف الناس، ومسايرتهم فيها ما دامت مقبولة شرعا، ومن التطبيقات المخالفة لقيمة التيسير: إكراه الناس على الدخول في الدين، وتحريم ما أباحه الله تعالى أو ماسكت عنه الشارع، والوقوع في الإفراط أو التفريط في الدعوة والبعد عن التوسط، والمغالاة في جانب التيسير بالتهوين من شأن أحكام الشريعة، والتساهل في الإفتاء والتفلت من التكاليف الشرعية لأدنى مشقة تعتريها، وتتبع الرخص حتى لو كانت شاذة أو مهجورة، ومسايرة الناس في ضعف الوازع الديني وضعف إيمانهم وميلهم للشهوات.

خامسا: قيمة (التبشير) تعني: التخلق بالصفات التي تستدعي الاستئناس والارتياح والتحبب وبث الأمل في القلوب، والبعد عن أساليب التنفير والإحباط، ومن مؤشراتها: تأليف قلوب العباد وإحسان معاملتهم، ومراعاة أحوالهم الإيمانية والنفسية، وإيقاظ الهمم وتقوية العزائم والحث على الطاعات، والتهنئة بحصول الخير

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

والمشاركة الوجدانية وإظهار السرور له، ونداء الإنسان بأحب الأسماء إليه، والتبشير بالمكاسب والمنافع الدنيوية، والتبشير بالثواب والأجر لمن عمل الخيرات، وتخفيف وقع المصائب والأقدار المؤلمة، بالتذكير بسنة الله في ابتلاء عباده المؤمنين، ويخالفها: الاكتفاء بأسلوب الترغيب والإعراض عن استعمال أسلوب الترهيب، ومجانبة الوسطية والتشديد على الناس لتطبيق الدين، ومخاطبة الناس بأسلوب اليأس والإحباط، ومجانبة الحكمة في ترتيب الأولويات الدعوية.

سادسا: قيمة التطاوع تعني: موافقة الداعية لغيره من الدعاة والمرونة واللين والانقياد، والبعد عن التعصب والتصلب في الرأي والتنازع المؤدي إلى تفريق الصف الإسلامي، ومن مؤشراتها: تحقيق الإيثار، ومقابلة الإساءة بالإحسان، والعمل على تضييق أي خلاف وإزالة أسبابه ما أمكن ذلك، وتفهم وجهات نظر الآخرين، والحرص على استيعاب الشريك المخالف واستمالته بضبط الأعصاب والتروي معه، وتجنب مواضع الخلاف في الأقوال والعبادات، وفقه النصوص الواردة في المسألة وفقه الواقع الذي تتنزل عليه النصوص، ومن التطبيقات المخالفة لقيمة التطاوع: اتباع الداعية لهواه، لا لدليل شرعي أو نظر سليم، إنما تعصبا للذاتن وترك الدعوة إلى الله والاحتساب بدعوى توحيد الصف وعدم إيقاع الفرقة بين المسلمين، والعزلة عن الناس وعدم مخالطتهم، والدعوة إلى الاتفاق والوحدة حتى لو تعارضت مع بعض أصول الشريعة الإسلامية، وتكبر الداعية وغروره وإعجابه بنفسه وبرأيه.

ومما توصي به الباحثة:

١)) توصي الباحثة بأن ينبري بعض المشتغلين بالدعوة والاحتساب إلى دراسة القيم الدعوية في السنة النبوية، وتقييم واقع الخطاب الدعوي المعاصر تبعا لمعاييرها لحل إشكالية القصور والضعف في ساحة الدعوة الإسلامية.

٢)) تكثيف الدراسات والبحوث العلمية التي تعنى بدراسة السنة النبوية من وجهة نظر المشتغلين بالدعوة والاحتساب، ومناقشة القضايا الدعوية في ضوء السنة النبوية.

٣)) توجيه العناية إلى طرق إكساب هذه القيم النبوية للشرائح المعنية، والتوصية بإقامة دورات تطبيقية تتبنى استراتيجيات منهجية لغرس القيم الإسلامية.

اللهم صل وسلم وبارك على نبينا محمد وعلى آله وصحبه أجمعين والحمد لله رب العالمين

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

المراجع

١. ابن الأثير، مجد الدين ابي السعادات المبارك بمن محمد الجزري: النهاية في غريب الحديث، تحقيق: محمود محمد الطناحي، وطاهر أحمد الزاوي، المكتبة الإسلامية، ط:١، ١٣٨٣هـ/١٩٦٣م.

٢. الأصفهاني: المفردات في غريب القرآن، أبي القاسم الحسين بن محمد الأصفهاني، دار المعرفة بيروت، تحقيق وضبط: محمد سيد كيلاني، ط: بدون.

٣. الألباني، الشيخ محمد ناصر الدين:

a. صحيح سنن أبي داود، مكتبة المعارف للنشر والتوزيع، الرياض ط: ٢، ١٤٢١هـ/٢٠٠٠م..

b. صحيح الجامع الصغير وزيادته، من منشورات المكتب الإسلامي ط:١، ١٣٨٨هـ ١٩٦٩م.

٤. البخاري، الإمام أبي عبد الله محمد بن إسماعيل: صحيح البخاري، دار السلام للنشر الرياض، ط:١، ١٤١٧هـ/ ١٩٩٧م.

٥. بدران، د.بدران أبو العينين: أصول الفقه الإسلامي، مؤسسة شباب الجامعة، الإسكندرية، ط:بدون، ١٩٨٤م.

٦. بكار، عبد الكريم: المتحدث الجيد، مؤسسة الإسلام اليوم، ط:١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

٧. البيانوني: محمد: المدخل إلى علم الدعوة، مؤسسة الرسالة، بيروت، ط:٣، ١٤٢٢هـ/ ٢٠٠١م.

٨. جريشة، د. علي محمد: صحوة أمة، دار طابة، القاهرة، ط: بدون.

٩. الجلاد: د. ماجد زكي: تعلم القيم وتعليمها، دار المسيرة عمان، ط:٣، ١٤٣٠هـ/٢٠١٠م.

١٠. الجليل، عبد العزيز ناصر: وقفات تربوية في ضوء القرآن الكريم، فاستقم كما أمرت، دار طيبة، الرياض، ط:١، ١٤٢٣هـ/٢٠٠٢م.

١١. حسن، د. السيد الشحات أحمد: الصراع القيمي لدى الشباب ومواجهته من منظور التربية الإسلامية، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:بدون، ١٤٠٨هـ

١٢. الخزندار، محمود محمد:

a. فقه الائتلاف، قواعد التعامل مع المخالفين بالإنصاف، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤٢١هـ.

b. هذه أخلاقنا حين نكون مؤمنين حقا، دار طيبة الرياض، ط:٨، ١٤٢٤هـ/١٠٠٣م..

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

١٣. خلاف، عبد الوهاب: علم أصول الفقه، دار القلم، القاهرة، ط:١٢، ١٣٩٨هـ/١٩٧٨م،

١٤. الخليلي، محمد أنيس مصطفى: فقه الاختلاف،،المكتبة العصرية، بيروت، ط:١، ١٤٣٢هـ/٢٠١١م.

١٥. الديلمي، د عبد الوهاب لطف: معالم الدعوة في قصص القرآن الكريم، دار المجتمع، جدة، ط:١، ١٤٠٦هـ/١٩٨٦

١٦. الذهبي، الإمام محمد بن أحمد بن عثمان: سير أعلام النبلاء، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٩، ١٤١٣هـ/١٩٩٣.

١٧. الربيعة، عبد العزيز بن عبد الرحمن: البحث العلمي حقيقته ومصادره ومادته ومناهجه، الرياض، ط:٢، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠.

١٨. الرازي، محمد بن أبي بكر: مختار الصحاح. دار الكتب العربي لبنان، ط:١، ١٩٧٩م.

١٩. الزبيدي: تاج العروس من جواهر القاموس: محمد مرتضى الزبيدي، دار مكتبة الحياة بيروت، ط:١، ١٣٠٦هـ

٢٠. السعدي، الشيخ عبد الرحمن بن ناصر: تيسير الكريم الرحمن في تفسير كلام المنان، حققه وضبطه: محمد زهري النجار المؤسسة السعيدية بالرياض ط: بدون.

٢١. الشاطبي، أبو إسحاق: الموافقات في أصول الشريعة، تحقيق وتخريج: الشيخ عبد الله دراز المكتبة التجارية الكبرى مصر ط: بدون.

٢٢. العثيمين، الشيخ محمد صالح:

a. الصحوة الإسلامية ضوابط وتوجيهات، دار الوطن للنشر الرياض، ط: بدون ١٤٢٤هـ.

b. الاعتدال في الدعوة، إعداد: فهد ناصر السليمان، نسخة إلكترونية.

٢٣. أبو العينين، د.علي خليل مصطفى: القيم الإسلامية والتربية، مكتبة إبراهيم الحلبي، المدينة المنورة، ط:١، ١٤٠٨هـ/١٩٨٨م.

٢٤. العظيم آبادي، محمد شمس الحق: عون المعبود شرح سنن أبي داود، المكتبة السلفية، المدينة المنورة، ط:٢، ١٣٨٨هـ/١٩٦٨م.

٢٥. العمر، د. ناصر سليمان: الاختلاف في العمل الإسلامي، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض، ط:١، ١٤٢٩هـ/٢٠٠٨م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٢٦. عقل، د.محمود عطا حسين: القيم السلوكية، مكتب التربية العربي لدول الخليج، ط:٢، ١٤٢٧هـ/ ٢٠٠٦م.

٢٧. غلوش، د.أحمد أحمد: الدعوة الإسلامية، دار الكتاب المصرين القاهرة، ط:٢، ١٤٠٧هـ/١٩٨٧م.

٢٨. القرضاوي، د.يوسف: الخصائص العامة للإسلام، مؤسسة الرسالة بيروت، ط:٢، ١٤٠٤هـ /١٩٨٣م.

٢٩. قطب، سيد: في ظلال القرآن، دار الشروق بيروت والقاهرة ١٣٩٥هـ/١٩٧٥م.

٣٠. ابن قيم الجوزية، الإمام محمد بن أبي بكر:

a. مفتاح دار السعادة ومنشور ولاية العلم والإرادة، دار الكتب العلمية بيروت لبنان ط: بدون.

b. إغاثة اللهفان من مصائد الشيطان، تحقيق: محمد حامد الفقي، دار المعرفة بيروت، ط: بدون.

c. أعلام الموقعين عن رب العالمين، مراجعة وتعليق: طه عبد الرؤوف، دار الجيل بيروت، ط بدون.

٣١. ابن كثير، الحافظ: تفسير القرآن العظيم كتاب الشعب مصر تحقيق: عبد العزيز غنيم ومحمد أحمد عاشور ومحمد إبراهيم البنا ط: بدون، ١٣٩٠هـ/١٩٧١م.

٣٢. اللحيدان، د عبد الله فهد: التسامح في الإسلام، دار الحضارة للنشر والتوزيع، الرياض،،ط:١، ١٤٣١هـ/٢٠١٠م.

٣٣. اللحيدان، د. عبد الله ابراهيم: دعوة غير المسلمين إلى الإسلام، مؤسسة الجريسي، الرياض، ط:١، ١٤٢٠هـ /٢٠٠٠م.

٣٤. المانع، د.مانع محمد علي: القيم بين الإسلام والغرب، دراسة تأصيلية مقارنة، دار الفضيلة، الرياض، ط:١، ١٤٢٦هـ/٢٠٠٥م..

٣٥. محفوظ، الشيخ علي: هداية المرشدين إلى طرق الوعظ والخطابة، دار الاعتصام، ودار النصر للطباعة الإسلامية، القاهرة، ط: بدون..

٣٦. مكروم، عبد الودود: القيم في الفكر الغربي رؤية وتحليل، دار الفكر العربي، القاهرة، ط:١، ٢٠٠٥م.

٣٧. الميداني، عبد الرحمن حسن حبنكة: الأخلاق الإسلامية وأسسها، دار القلم، دمشق، ط:٣، ١٤١٣هـ/١٩٩٢م.

www.alukah.net إهداء من شبكة الألوكة

٣٨. النووي، أبو زكريا يحيى بن شرف بن مري: صحيح مسلم بشرح النووي، المطبعة المصرية ومكتبتها، مصر، ط: بدون.

النيسابوري. الإمام مسلم بن الحجاج القشيري: صحيح مسلم: نشر رئاسة إدارات البحوث العلمية والإفتاء والدعوة والإرشاد، ١٤٠٠ هـ-١٩٨٠م

هذا الكتاب منشور في